انتهاء عصر الكاتب
وبداية عصر المفكر

ص3

مغامرة سردية
تستنطق الذاكرة
والحب والمدينة

ص8

حرب المعلومات
خطوط التماس
المباشرة في الخليج

ص5

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
أسسها: أحمد الصالحين الهوني
السبت - الأحد 25 - 2026/07/26
11 - 12 صفر 1448 السنة 49 العدد 13870
Saturday - Sunday 25 - 26/07/2026
49th Year, Issue 13870
www.alarab.co.uk

جبهة خليجية موحدة في مواجهة التصعيد الإيراني

حماية هرمز وباب المندب تتحول إلى أولوية إستراتيجية

واشنطن - تكشف الجبهة السياسية والأمنية التي أعلنتها دول مجلس التعاون الخليجي، بمشاركة الأردن، عن تحول لافت في مقاربة الأمن الإقليمي، إذ لم يعد التعامل مع الهجمات المنسوبة إلى إيران ووكلائها يقتصر على بيانات الإدانة أو المطالبة بضبط النفس، وإنما انتقل إلى مرحلة تقوم على مفهوم الردع الجماعي، وربط أمن كل دولة بأمن المنظومة الخليجية والعربية بأكملها.

ويأتي هذا التحول في لحظة إقليمية بالغة الحساسية، مع اتساع رقعة المواجهة العسكرية بين الولايات المتحدة وإيران، وتصاعد الهجمات على منشآت الطاقة والبنية التحتية والممرات البحرية، بما يجعل دول الخليج أمام معادلة جديدة قوامها أن استمرار سياسة الاحتواء وحدها لم يعد كافيا، وأن حماية الاستقرار الاقتصادي وأمن الطاقة تتطلب بناء شبكة تنسيق سياسي وعسكري أكثر تماسكا.

ولا تكمن أهمية البيان المشترك في لغته الحازمة فحسب، بل في كونه يعكس توافقا سياسيا نادرا بين الدول المشاركة بشأن طبيعة التهديد، وآليات التعامل معه، وحدود الرد عليه. فالبيان لا يتحدث عن حوادث منفصلة، وإنما يقدم رؤية تعتبر أن استهداف دولة واحدة أو منشأة بعينها يدخل ضمن إستراتيجية ضغط إقليمية تستوجب استجابة جماعية.

> لم يعد استخدام إيران لوكلائها أداة لتفتيت المواقف العربية، بل دافعا نحو تنسيق أمني وسياسي غير مسبوق بين الخليجيين

وللمرة الأولى منذ اندلاع موجة التصعيد الأخيرة، تتحدث الدول السبع بوضوح عن حقها في الدفاع عن نفسها "بصورة فردية وجماعية"، مستندة إلى المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة، وهو استناد لا يمنح موقفها بعدا قانونيا فحسب، بل يهيئ أيضا الأرضية السياسية لأي إجراءات دفاعية مشتركة قد تفرضها تطورات المرحلة المقبلة.

ويمثل إدراج مفهوم الدفاع الجماعي في البيان تطورا يتجاوز الاعتبارات القانونية إلى إعادة تعريف فلسفة الأمن الخليجي. فمنذ سنوات اعتمدت دول المجلس بصورة أساسية على الشراكات الثنائية مع الولايات المتحدة والقوى الغربية، أما اليوم فإن الخطاب الجديد يمنح التنسيق الإقليمي نفسه دورا أكبر في منظومة الردع، دون أن يكون بديلا عن التحالفات الدولية.

كما أن البيان يتجاوز لغة الإدانة التقليدية، إذ يشير إلى الاستعداد لاتخاذ "جميع التدابير القانونية والعسكرية اللازمة" لحماية الأراضي والمنشآت والسفن التجارية، في رسالة تستهدف رفع كلفة أي هجمات مستقبلية، وإقناع طهران بأن استخدام الوكلاء لم يعد يوفر لها هامش الإنكار السياسي الذي استفادت منه خلال السنوات الماضية.

ويعكس هذا الموقف قناعة متنامية بأن الضربات التي استهدفت البحرين والكويت والأردن، إضافة إلى التهديدات المتكررة لمنشآت النفط ومحطات تحلية المياه والموانئ والمطارات، ليست أحداثا منفصلة، وإنما حلقات ضمن نمط عمليات يهدف إلى استنزاف الخصوم وفرض ضغوط سياسية واقتصادية عليهم دون الانزلاق إلى مواجهة شاملة.

موقف خليجي موحد

ويحمل البيان رسالة مباشرة إلى إيران مفادها أن إستراتيجية إدارة الصراع عبر الوكلاء بدأت تفقد فعاليتها السياسية. فبدلا من إحداث تباينات بين العواصم العربية، أسهمت الهجمات في تقريب مواقفها، وتعزيز التعاون في مجالات تبادل المعلومات الاستخباراتية، والتنسيق العسكري، والتحرك المشترك داخل المؤسسات الدولية.

ويكتسب هذا التحول زخما إضافيا من استناد البيان إلى قرارات مجلس التعاون الخليجي والجامعة العربية، فضلا عن قرار مجلس الأمن رقم 2817 لعام 2026، في محاولة لتأكيد أن أي تحرك دفاعي محتمل سيكون منسجما مع قواعد القانون الدولي، وليس خروجا عليها.

ويأتي هذا التشدد بعد أسابيع فقط من توقيع مذكرة التفاهم بين الولايات المتحدة وإيران، التي كان يعول عليها لفتح نافذة نحو خفض التصعيد. غير أن استمرار الهجمات في الخليج والبحر الأحمر عزز لدى العواصم الخليجية الانطباع بأن التفاهمات الثنائية بين واشنطن وطهران لا توفر، بمفردها، ضمانات كافية لأمن المنطقة، وأن الردع الإقليمي ينبغي أن يكون مكملا للمسار الدبلوماسي لا رهينة له.

وفي هذا السياق، تبدو حماية مضيقي هرمز وباب المندب محور الارتكاز في المقاربة الخليجية الجديدة. فهذان الممران لم يعودا مجرد معبرين لتصدير النفط، بل يمثلان ركيزة أساسية لاستقرار التجارة العالمية وسلاسل الإمداد الدولية. ومن ثم فإن أي تهديد لهما ينعكس مباشرة على أسعار الطاقة، وكلفة النقل البحري، ومعدلات التضخم في الاقتصاد العالمي.

ولهذا السبب، حرص البيان على التأكيد أن الهدف ليس توسيع نطاق الحرب، بل ضمان أمن الملاحة الدولية، والعمل مع المنظمة البحرية الدولية والشركاء الإقليميين لتطوير ترتيبات أمنية أكثر استدامة، بما يجمع بين الردع العسكري والعمل الدبلوماسي، بدلا من الاكتفاء بأحدهما.

غوتيريش في دمشق: هل تعيد الأمم المتحدة صياغة علاقتها مع سوريا؟

دمشق - تُشكل زيارة الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، المرتقبة إلى العاصمة دمشق، حدثا دبلوماسيا مفصليا في مسار العلاقات بين المنظمة الدولية وسوريا.

وتعد الزيارة الأولى لأمين عام للأمم المتحدة إلى دمشق منذ عام 2009، حين زارها الأمين العام الأسبق بان كي مون. ويتضمن برنامج غوتيريش عقد مباحثات رسمية مع الرئيس السوري أحمد الشرع، ووزير الخارجية أسعد الشيباني، بالإضافة إلى لقاءات مع ممثلي المجتمع المدني ومؤسسات المجتمع المحلي.

وتشمل الجولة زيارة ميدانية لتفقد قوة الأمم المتحدة لمراقبة فض الاشتباك (أندوف) المتركزة في الجولان السوري المحتل، متابعة لالتزامات اتفاق وقف إطلاق النار.

والثلاثاء، قال المتحدث باسم الأمم المتحدة ستيفان دوغاريك، إن غوتيريش سيزور سوريا خلال الأسبوع الجاري تلبية لدعوة من حكومتها، دون تحديد موعد الزيارة.

وتُمثل زيارة غوتيريش إلى دمشق تحوّلا مفصليا في هندسة العلاقات الأممية مع سوريا، إذ تكسر قطيعة استمرت 17 عاما.

هذه العودة الأممية إلى قلب سوريا لا تُقرأ كمجرد محطة بروتوكولية، بل تُعد تدشينا لمرسوم سياسي وأممي يُعيد وضع الدولة السورية على خريطة التفاعلات الدولية المباشرة.

كما تنتقل بالملف السوري من إدارة الأزمة عبر المبعوثين الخاصين إلى أعلى المستويات القيادية في المنظمة الدولية.

وتتجلى الدلالة الأولى لهذه الزيارة في منح الدعم الأممي للمرحلة الانتقالية الجديدة، والتأكيد الحاسم على أركان السيادة السورية ووحدة أراضيها.

أما اللقاء المرتقب لغوتيريش بالقيادة السورية ممثلة بالشرع والشيباني، فيحمل رسالة سياسية للقوى الإقليمية والدولية تؤكد أن المنظمة الأممية تعتمد مؤسسات الدولة الرسمية كشريك رئيسي في إدارة المسار السياسي، مما يُسهم في تسريع وتيرة فك العزلة الدبلوماسية الدولية عن دمشق.

وكان بان كي مون آخر أمين عام للأمم المتحدة زار سوريا عام 2009، ما يمنح زيارة غوتيريش المرتقبة دلالة سياسية في ظل المرحلة الانتقالية التي تشهدها البلاد منذ إسقاط نظام الرئيس بشار الأسد في ديسمبر 2024.

وعلى الصعيد الميداني والأمني، تكتسب جولة غوتيريش لتفقد قوات الأمم المتحدة لمراقبة فض الاشتباك "أندوف" في الجولان السوري المحتل أبعادا إستراتيجية بالغة الأهمية.

ففي ظل التوترات الإقليمية المتصاعدة، يُعيد الأمين العام تسليط الضوء على خطورة ملف الجولان وضرورة التزام كافة الأطراف باتفاقيات الهدنة والقرارات الأممية ذات الصلة، وتمسك الأمم المتحدة بمسؤولياتها في حماية قرارات الشرعية الدولية.

وأنشأ مجلس الأمن قوة "أندوف" في 31 مايو 1974 بموجب القرار 350، لمراقبة وقف إطلاق النار والإشراف على تنفيذ اتفاق فض الاشتباك بين سوريا وإسرائيل.

ونص اتفاق فض الاشتباك الموقع في اليوم ذاته على إنشاء منطقة عازلة بين القوات السورية والإسرائيلية، وتحديد مناطق خاضعة لقيود على القوات والتسليح على جانبيها.

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني
رئيس التحرير

في السياسة «لا صديق دائم ولا عدو دائم»: ماذا عن إيران؟

في منتصف القرن التاسع عشر صاغ رئيس الوزراء البريطاني اللورد بالمرستون واحدة من أكثر العبارات شهرة في العلاقات الدولية حين قال "ليس لبريطانيا أصدقاء دائمون ولا أعداء دائمون، بل مصالح دائمة". ومنذ ذلك الحين أصبحت هذه المقولة أشبه بالقانون غير المكتوب الذي يحكم حركة الدول، مهما اختلفت أيديولوجياتها أو أنظمتها السياسية. فالدول قد ترفع شعارات أخلاقية أو عقائدية، لكنها في اللحظة الحاسمة تعود إلى حسابات القوة والمصلحة والجغرافيا.

ومع ذلك، تبدو إيران للوهلة الأولى استثناءً لهذه القاعدة. فمنذ انتصار الثورة الإسلامية عام 1979، بنت الجمهورية الإسلامية خطابها السياسي على ثنائية "المستضعفين والمستكبرين"، ورفعت شعار "الموت لأميركا" بوصفه أحد أبرز رموز هويتها الثورية. وعلى امتداد أكثر من أربعة عقود، أصبح العداء للولايات المتحدة وإسرائيل جزءًا من العقيدة السياسية للنظام، وعنصرًا أساسيًا في شرعيته الداخلية وروايته الإقليمية. لكن السؤال الذي يفرض نفسه اليوم هو: هل استطاعت إيران بالفعل أن تتجاوز قانون المصالح؟

إن قراءة التجربة الإيرانية بعيدًا عن الانفعالات تكشف أن الدولة التي رفعت أكثر الشعارات ثورية في الشرق الأوسط كانت، في الوقت نفسه، واحدة من أكثر الدول براعة في توظيف البراغماتية عندما اقتضت مصالحها ذلك. فبين الخطاب العقائدي والسياسة العملية، وبين الثورة والدولة، تتحرك إيران في مساحة معقدة تجعل فهمها يتطلب النظر إلى ما وراء الشعارات، حيث تظل المصلحة هي المحرك الأكثر تأثيرًا.

لقد احتاجت الثورة الإيرانية منذ أيامها الأولى إلى خصم خارجي يمنحها القدرة على تعبئة المجتمع وتوحيد صفوفه. فالأنظمة الثورية غالبًا ما تبني جزءًا كبيرًا من شرعيتها على وجود "عدو دائم" يبرر استمرار التعبئة ويحول الأنظار عن الأزمات الداخلية. ولهذا لم يكن وصف الولايات المتحدة بـ"الشيطان الأكبر" مجرد تعبير سياسي، بل تحول إلى ركيزة أيديولوجية أسهمت في تشكيل الهوية السياسية للجمهورية الإسلامية. ولم تعد المواجهة مع الغرب مجرد خلاف دبلوماسي، بل أصبحت جزءًا من سردية وجودية تصور إيران باعتبارها رأس حربة في مواجهة الهيمنة الغربية.

هذا الخطاب لم يكن موجهًا إلى الخارج بقدر ما كان موجهًا إلى الداخل. فكلما اشتدت الضغوط الاقتصادية أو تصاعدت الخلافات السياسية، أعاد النظام استدعاء فكرة "الحصار" و"المؤامرة الخارجية" باعتبارها وسيلة لتعزيز التماسك الداخلي. ومن هنا، لم يكن العداء مجرد سياسة خارجية، بل أصبح أداة لإنتاج الشرعية السياسية وإعادة تعريف العلاقة بين الدولة والمجتمع.

غير أن التاريخ يكشف في المقابل مفارقة لافتة. فالدولة التي جعلت من العداء للولايات المتحدة عنوانًا لهويتها لم تتردد في فتح قنوات تفاوض معها كلما اقتضت الضرورات الإستراتيجية ذلك. ففي أعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001، تعاونت طهران بصورة غير مباشرة مع واشنطن في إسقاط نظام طالبان في أفغانستان، رغم الخطاب العدائي المتبادل. وبعد سنوات، دخلت في مفاوضات شاقة انتهت بتوقيع الاتفاق النووي عام 2015، الذي مثل أكبر تفاهم مباشر بين الطرفين منذ الثورة الإسلامية.

الأمر نفسه ينطبق على البيئة الإقليمية. فبعد سنوات طويلة من القطيعة والتنافس الحاد مع المملكة العربية السعودية، قبلت إيران برعاية صينية لاتفاق استئناف العلاقات الدبلوماسية بينها وبين السعودية عام 2023، في خطوة لم يكن كثيرون يتوقعونها. لم يكن السبب تغيرًا في العقيدة، بل تغيرًا في الحسابات؛ إذ أدركت طهران أن تخفيف التوتر الإقليمي يمنحها متنفسًا اقتصاديًا وسياسيًا في ظل العقوبات الغربية والضغوط الداخلية.

> الدولة التي رفعت أكثر الشعارات ثورية في الشرق الأوسط من أكثر الدول براعة في توظيف البراغماتية

وتنطبق القاعدة ذاتها على علاقاتها مع روسيا والصين. فالشراكة المتنامية مع موسكو وبكين لا تعني وجود تحالف عقائدي، بل تعكس تقاطعًا مؤقتًا في المصالح. فروسيا تنظر إلى إيران من زاوية توازنات الشرق الأوسط وأسواق الطاقة، بينما ترى الصين فيها شريكًا مهمًا ضمن مبادرة "الحزام والطريق" ومصدرًا إستراتيجيًا للطاقة. أما إيران، فترى في هاتين القوتين فرصة لتخفيف الضغوط الغربية وكسر العزلة الاقتصادية. إنها علاقة تقوم على البراغماتية المتبادلة أكثر مما تقوم على الولاء السياسي.

ومن هنا يمكن القول إن إيران لا تبحث عن أصدقاء دائمين، بل عن توازن دائم. فهي تدير علاقاتها الدولية وفق ميزان متحرك يسمح لها بالاستفادة من التنافس بين القوى الكبرى، دون الارتهان الكامل لأي منها. وهذه ليست خصوصية إيرانية بقدر ما هي تعبير عن منطق الدولة عندما تتغلب حسابات البقاء على الاعتبارات الأيديولوجية.

كما أن العقوبات الاقتصادية الممتدة منذ عقود أعادت تشكيل أولويات النظام. فالاقتصاد لا يعرف الشعارات، بل تحكمه الأرقام والأسواق والاستثمارات. ومع تراجع قيمة العملة الوطنية وارتفاع معدلات التضخم والبطالة، أصبح البحث عن منافذ اقتصادية ضرورة لا تقل أهمية عن الحفاظ على الخطاب الثوري.

ليبيا 1 دينار - السعودية 2 ريال - مصر 3 جنيه مصري - موريتانيا 120 أوقية - تونس 900 مليم - المغرب 3 دراهم - الجزائر 7 دينارات - البحرين 200 فلس - اليمن 50 ريالا - الكويت 150 فلسا - الإمارات 2 درهم - عمان 200 بيزا - قطر 2 ريال - العراق 2000 دينار - الأردن 500 فلس - سوريا 150 ليرة - السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
السبت 2026/07/25
السنة 49 العدد 13870

درس الحرب مع إيران يفتح ملف انتشار القوات الأميركية في الشرق الأوسط

قواعد الخليج التي كانت مصدر قوة أصبحت أكثر عرضة للصواريخ والطائرات المسيّرة

لم تكن المواجهة العسكرية الأخيرة بين الولايات المتحدة وإيران مجرد اختبار لقدرات الدفاع الجوي أو لفعالية الردع الأميركي، بل تحولت أيضا إلى مناسبة لإعادة فتح أحد أكثر الملفات حساسية داخل المؤسسة العسكرية الأميركية، وهو خريطة انتشار القوات والقواعد في الشرق الأوسط.

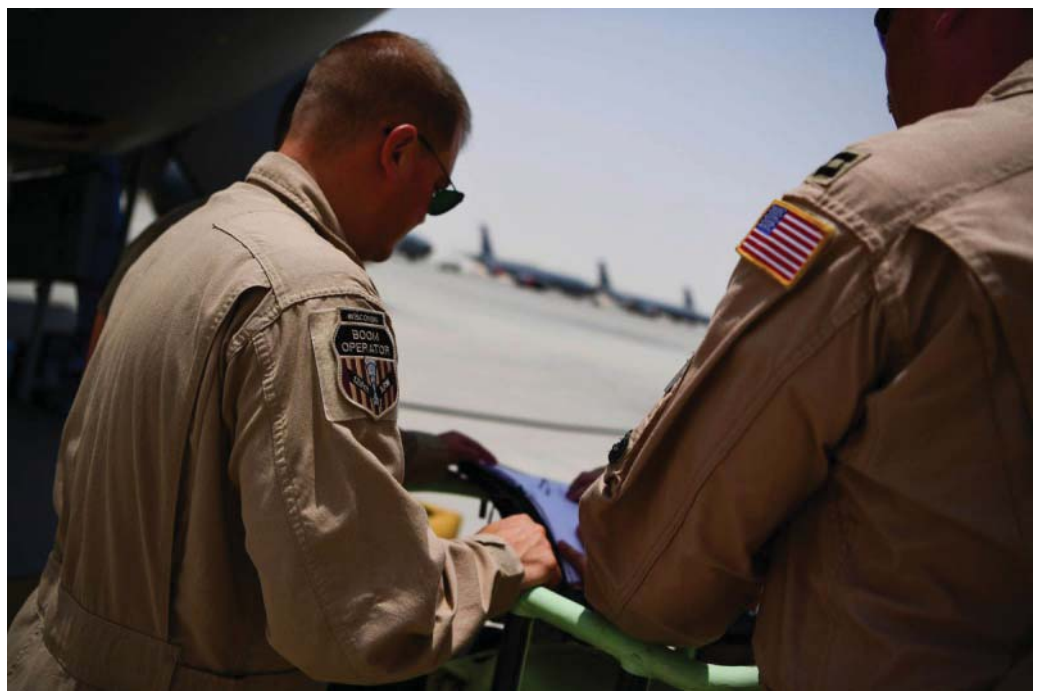

قواعد تحولت من ميزة إلى عبء بسبب وقوعها في مرمى النيران الإيرانية

واشنطن - أعادت المواجهة العسكرية بين الولايات المتحدة وإيران تسليط الضوء على أحد العوامل المهمة في الإستراتيجيات الأميركية والذي حظي حتى باهتمام ضئيل وهو نمط تمركز ونشر القواعد الأميركية في الشرق الأوسط.

ونبّه إلى ذلك المحلل الأميركي إليوت أبرامز الذي وصف القواعد الأميركية في المنطقة بأنّها أهداف في مرمى الهجمات الإيرانية، مما أدى إلى مقتل 17 جنديا أميركيا على الأقل وإصابة قرابة 500 آخرين وخسارة معدات بمليارات الدولارات في المواجهة الدائرة حاليا.

وفي تقرير نشره مجلس العلاقات الخارجية الأميركي قال أبرامز، وهو خبير وزميل أول في دراسات الشرق الأوسط بالمجلس وشغل منصب نائب مساعد الرئيس ونائب مستشار الأمن القومي في إدارة جورج دبليو بوش، إن هذا الوضع يمثل مشكلة لأن الولايات المتحدة لها قواعد في كل أنحاء الخليج قريبة جدا من إيران. وأكبر قاعدة أميركية في الشرق الأوسط هي قاعدة العديد الجوية في قطر حيث كانت تعمل بها قوات يبلغ قوامها نحو عشرة آلاف قبل الحرب الحالية.

وهذه القاعدة هي أيضا مقر القيادة المتقدمة للقيادة المركزية الأميركية "سنتكوم" وموقع مركز العمليات الجوية المشتركة الذي يسيطر على كل النشاط الجوي الأميركي في كل أنحاء الشرق الأوسط. ويقع مقر الأسطول الخامس الأميركي والقيادة المركزية للقوات البحرية الأميركية في البحرين. وهناك أيضا قواعد أميركية مهمة أيضا في الكويت والإمارات، كما أن هناك وجودا أميركيا في سلطنة عمان والسعودية، وكل هذه المواقع على مسافة هجومية سهلة من إيران.

وكان نمط تمركز ونشر هذه القواعد منطقيا عندما كانت الولايات المتحدة تقاتل في أفغانستان والعراق ضد الخصوم الإرهابيين الذين كانوا يفتقرون إلى القدرة على مهاجمة هذه القوات. وفي عام 2001، عندما بدأت الولايات المتحدة عملياتها ضد حركة طالبان في أفغانستان، كانت القوات الأميركية في الخليج مفيدة للغاية ولم تكن عرضة تقريبا لخطر أي هجمات.

وكان نفس الشيء ينطبق في الحقيقة خلال الصراع العراقي الذي بدأ في عام 2003، حيث لم يكن الخصم قادرا على قصف القوات الأميركية بالصواريخ وكانت الطائرات المسيرة تستخدم بالكاد ولم تكن تشكل تهديدا. ولكن هذا النمط لنشر القوات بات اليوم عرضة بشدة للخطر في الصراع مع إيران.

> نمط تمركز القوات الأميركية في الخليج انعكاس لتحديات قديمة بما في ذلك الحاجة إلى حماية الحلفاء

نمط تمركز القوات الأميركية في الخليج انعكاس لتحديات قديمة بما في ذلك الحاجة إلى حماية حلفاء الولايات المتحدة في الخليج والشرق الأوسط الأوسع نطاقا من الاتحاد السوفيتي، لكنه أصبح لا يواكب مقتضيات الوضع الراهن، ويعرض للخطر القوات الأميركية، وهو ما يفسر السبب وراء نقل الكثير منها بعيدا عن إيران.

وفي ظل مدى الصواريخ والطائرات المسيرة في ترسانة إيران، ستظل القوات الأميركية الأبعد في خطر، وسوف يحتاج الجنود إلى المزيد من الوقت للتوجه لمكان آمن. وعلى سبيل المثال، يقع معسكر عريفجان في الكويت، وهو المقر المتقدم للجيش الأميركي للقوات البرية التابعة للقيادة المركزية، على بعد 62 ميلا فقط من إيران.

وتقع القاعدة البحرية الأميركية في البحرين على بعد نحو 128 ميلا من إيران. وتبعد قاعد العديد 170 ميلا. وتقع كل هذه القواعد داخل مدى الصواريخ الإيرانية. وفي المقابل تبلغ المسافة من إيران إلى إسرائيل نحو 1100 ميل.

ونقل أبرامز عن تقرير سابق لمجلة إير أند سبيس فورسيس الأميركية القول "إنّ بعض الجنود الأميركيين يغادرون قاعدة العديد الجوية في قطر، القاعدة العسكرية الرئيسية الأميركية في الشرق الأوسط، ويبدو أيضا أنه تم نقل طائرات أميركية".

وتم نقل العشرات من الطائرات الأميركية إلى مطار بن غوريون وقاعدة رامون الجوية في إسرائيل. وتستخدم الولايات المحدة أيضا قواعد في الأردن حيث تكبدت القوات الأميركية خسائر مادية ومقتل جنديين الأسبوع الماضي. ويعتقد الجنرال المتقاعد فرانك ماكنزي، وهو قائد سابق في سينتكوم، أن هناك حاجة إلى المزيد من عمليات النقل بعيدا عن إيران والخليج.

ونقل أبرامز عن ماكنزي في تصريح لمجلة "ميدل ايست أي" في أوائل الشهر الجاري قوله "لا يوجد رجل في كامل قواه العقلية سوف يضع القيادة المتقدمة لسنتكوم على بعد 100 ميل من إيران (في قطر)، ومع ذلك هي موجودة هناك".

ووصف النمط الحالي لتمركز القواعد الأميركية بأنه موروث تاريخي وقال "إن استراتيجية تمركز القواعد الأميركية لا تواكب الواقع على الأرض" واختتم تصريحه بالقول "نحتاج إلى النظر غربا، نحتاج إلى تمركز القواعد في إسرائيل" بسبب المسافة البعيدة عن إيران ولأن ذلك، من وجهة نظره، سوف يفرض أقل قدر من القيود على حرية وصول الولايات المتحدة ونشر قوات وحقوق الطيران في المجال الجوي.

وتشمل مواقع أخرى أبعد من إيران يمكن النظر فيها، غرب السعودية ومصر، ولكن كلا الموقعين ليس لديهما نظم الدفاع الجوي التي تملكها إسرائيل ولن يوفرا حقوق الطيران لمن يضطر إلى الحاجة إليها. ومع ذلك، ومع الوضع في الاعتبار أن الولايات المتحدة لديها قوات في العديد من الدول الخليجية، فإنه يتعين عليها أن تفكر في إنشاء قواعد جديدة منتشرة في عدة مواقع، بدلا وضع كل مواردها الجوية في مكان واحد.

ولكن قول ذلك أسهل من تنفيذه. وفيما يمكن لإسرائيل أن ترحب بتركيز قاعدة أميركية في مجالها، فربما تنظر مصر والسعودية أو دول أخرى في المنطقة إلى ذلك على أنه عبء من المحتمل أن يؤدي إلى شن هجمات أو كوسيلة لكسب نفوذ على الولايات المتحدة للحصول على تنازلات سياسية، أو في حالة مصر، للحصول على المزيد من المساعدات.

وعلاوة على ذلك، فإن إنشاء قواعد جديدة مكلف للغاية في وقت يوجد فيه بالفعل عبء كبير على ميزانية الدفاع الأميركية.

وصمة الكيمياوي تلاحق الجيش السوداني

الخرطوم - دخل السجال بين الولايات المتحدة والسودان بشأن اتهامات استخدام أسلحة كيميائية مرحلة أكثر تعقيدا مع بدء سريان حزمة جديدة من العقوبات الأميركية، في خطوة تتجاوز الضغط الاقتصادي إلى تكريس اتهامات قد تلقي بظلالها على صورة الجيش السوداني وعلاقات الخرطوم الخارجية لسنوات. وبينما ترفض الحكومة السودانية تلك الاتهامات وتصفها بأنها "مزاعم باطلة" تفتقر إلى الأدلة، يرى مراقبون أن مجرد إدراج هذه التهمة ضمن مبررات العقوبات يضيف بعدا سياسيا وقانونيا جديدا إلى الأزمة السودانية.

ويرى المحلل السياسي السوداني عثمان فضل الله أن التأثير العسكري المباشر للعقوبات قد يكون محدودا في ظل استمرار الحرب وتعدد مصادر التسليح، إلا أن تداعياتها الاقتصادية والدبلوماسية ستكون أكثر عمقا، عبر تشديد القيود على التعاون التقني والتمويل والاستثمار، وتعزيز عزلة الخرطوم على الساحة الدولية.

وتستند الإجراءات الأميركية إلى اتهامات للقوات المسلحة السودانية باستخدام أسلحة كيميائية خلال الحرب مع قوات الدعم السريع، وهو ما تنفيه الخرطوم بشكل قاطع، مؤكدة أنها لا تنتج أو تمتلك أو تستخدم هذا النوع من الأسلحة، وأنها ملتزمة باتفاقية حظر الأسلحة الكيميائية.

كما تؤكد الحكومة السودانية استعدادها للتعاون مع منظمة حظر الأسلحة الكيميائية والجهات الدولية المختصة للتحقق من الاتهامات، مطالبة واشنطن بتقديم المعلومات والأدلة التي استندت إليها في فرض العقوبات.

وتأتي هذه التطورات في وقت يعيش فيه السودان واحدة من أسوأ أزماته منذ اندلاع الحرب بين الجيش وقوات الدعم السريع في أبريل 2023، وهي الحرب التي أودت بحياة عشرات الآلاف، وتسببت في نزوح ولجوء ملايين السودانيين، فضلا عن انهيار واسع في الاقتصاد والبنية التحتية.

ورفضت وزارة الخارجية السودانية العقوبات الأميركية، معتبرة أنها "أحادية وغير قانونية" وتستند إلى اتهامات سبق للحكومة أن نفتها، مشيرة إلى أن هذه المزاعم ظهرت بداية استنادا إلى مصادر مجهولة، قبل أن تتحول إلى أساس للإجراءات الأميركية.

وأكدت الوزارة أن السودان التزم بجميع التزاماته بموجب اتفاقية حظر الأسلحة الكيميائية، بما في ذلك تقديم الإخطارات الدورية المطلوبة، وأنه تعامل مع الاتهامات "بجدية وشفافية" عبر قنوات اتصال فنية مع الجانب الأميركي، بهدف الاطلاع على المعلومات التي استندت إليها واشنطن، مجددة استعداد الخرطوم للتعاون مع منظمة حظر الأسلحة الكيميائية عبر الآليات القانونية والفنية المعتمدة.

ودخلت العقوبات الإضافية حيز التنفيذ في 20 يوليو الجاري، بعدما اعتبرت الولايات المتحدة أن السودان لم يستوف الشروط المنصوص عليها في قانون مكافحة الأسلحة الكيميائية والبيولوجية خلال مهلة امتدت ثلاثة أشهر.

وتشمل الإجراءات فرض قيود على القروض والمساعدات المالية والفنية المقدمة عبر المؤسسات المالية الدولية، مع استثناء المساعدات الإنسانية والغذائية، إضافة إلى قيود واسعة على تصدير معظم السلع والتقنيات الأميركية إلى السودان، وإخضاع المنتجات ذات الاستخدام العسكري أو الأمني لسياسة تقوم على افتراض رفض منح تراخيص التصدير.

ومن المقرر أن تبقى هذه العقوبات سارية لمدة عام على الأقل، ما لم تقرر الإدارة الأميركية أن السودان استوفى الشروط القانونية اللازمة لرفعها.

ويرى مراقبون أن هذه الإجراءات ستزيد من صعوبة حصول السودان على التمويل الخارجي والتكنولوجيا والاستثمارات، في وقت يعاني فيه الاقتصاد من تداعيات الحرب والانكماش الحاد في النشاط الإنتاجي والتجاري.

وتعود جذور الأزمة إلى مايو 2025، عندما أعلنت الولايات المتحدة للمرة الأولى فرض عقوبات على السودان، بعد اتهام القوات المسلحة باستخدام أسلحة كيميائية خلال الحرب مع قوات الدعم السريع عام 2024.

> العقوبات تستهدف للمرة الأولى القوات المسلحة كمؤسسة، بعدما كانت في السابق تركز على شخصيات من النظام

وشملت تلك الإجراءات فرض قيود على الصادرات الأميركية إلى السودان، إلى جانب الحد من وصول الحكومة السودانية إلى خطوط الائتمان الحكومية الأميركية.

وردا على الاتهامات، أصدر رئيس مجلس السيادة الانتقالي عبدالفتاح البرهان، في 29 مايو 2025، قرارا بتشكيل لجنة وطنية للتحقيق، ضمت ممثلين عن وزارتي الخارجية والدفاع وجهاز المخابرات العامة، وكُلفت بإعداد تقرير عاجل بشأن المزاعم الأميركية.

وفي يوليو 2025، أكد السودان، خلال مشاركته في الدورة الـ109 للمجلس التنفيذي لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية في لاهاي، تعامله "بجدية وشفافية" مع الاتهامات، مشيرا إلى أن الجانب الأميركي أبدى استعداده لتزويده بالمعلومات اللازمة. غير أن الاتصالات الفنية بين الطرفين لم تفض إلى تسوية الخلاف، ليستمر التصعيد وصولا إلى دخول العقوبات الجديدة حيز التنفيذ.

ويعتبر فضل الله أن هذه العقوبات تمثل تطورا سياسيا وقانونيا بالغ الخطورة، لأنها تضيف "وصمة استخدام الأسلحة الكيميائية" إلى سجل الأزمة السودانية، وهو ما قد تكون تداعياته أبعد من تأثير القيود الاقتصادية المباشرة.

شبح المجاعة يعود إلى غزة مع انخفاض المساعدات

استهلاك الغذاء لا يزال غير كاف لمعظم الأسر

غزة - قال مرصد عالمي معني بمراقبة الجوع إن أكثر من ثلثي سكان غزة قد يتعرضون للجوع الشديد بحلول نهاية العام مع خفض وكالات الإغاثة الإنسانية تدفقات المساعدات بسبب نقص التمويل.

وأظهر أحدث تقييم أجراه التصنيف المرحلي المتكامل للأمن الغذائي أن مستويات سوء التغذية الحاد، وخاصة بين الأطفال، انخفضت بشكل ملحوظ بعد زيادة إمدادات الغذاء وخدمات التغذية عقب وقف إطلاق النار بين إسرائيل وحركة حماس في أكتوبر 2025. لكن المرصد أشار في تقرير إلى أن هذا التحسن في الأوضاع معرض لخطر الانتكاسة.

وذكر المرصد في التقرير أن استهلاك الغذاء لا يزال غير كاف لمعظم الأسر، وأن بعضها يلجأ إلى التسول والبحث عن الطعام في القمامة.

وأضاف أن أكثر من 1.2 مليون شخص، أو نحو 59 في المئة من سكان غزة، تعرضوا للجوع الشديد الذي يعرف بأنه مستوى أزمة أو أسوأ خلال الفترة من منتصف أبريل ونهاية يونيو.

وكان من بين هذا العدد حوالي 212 ألف شخص في حالة طوارئ. ومن المتوقع أن يرتفع هذا العدد ليتجاوز 1.4 مليون شخص، أو 67 في المئة من سكان القطاع، بحلول ديسمبر.

التكيف مع واقع صعب

ويعتمد غالبية سكان غزة على إمدادات المساعدات بعد الحرب التي اندلعت في 2023 في ظل عمليات النزوح المتكررة والقيود الصارمة التي تفرضها إسرائيل على إيصال المساعدات. غير أن وزارة الخارجية الإسرائيلية قالت إن إسرائيل لا تفرض قيودا على دخول الغذاء إلى غزة، وإنها سهلت دخول أكثر من 1.8 مليون طن من المواد الغذائية إلى القطاع منذ أكتوبر 2025.

وذكر التصنيف المرحلي المتكامل للأمن الغذائي في ديسمبر أن أجزاء من قطاع غزة لم تعد تعاني من ظروف المجاعة، متراجعا عن استنتاجه في أغسطس. ويحذر الآن من أن ذلك التقدم مهدد مع بدء انخفاض كمية المساعدات.

وقلصت برامج التغذية التكميلية المخصصة للنساء الحوامل والمرضعات عدد المستفيدات منها إلى النصف ليصل إلى ستة آلاف امرأة بين يناير ومايو هذا العام. ومن المرجح أن تكون التخفيضات الإضافية في المساعدات ناجمة عن نقص التمويل والضبابية بشأن ممارسة منظمات الإغاثة نشاطها في القطاع.

ورفضت إسرائيل النتائج التي توصل إليها التصنيف المرحلي المتكامل للأمن الغذائي في أغسطس، وظلت ترفض باستمرار الاتهامات بأنها تنتهج سياسة تجويع في غزة على الرغم من إقرارها بنقص الغذاء في ذلك الوقت.

> نحو 59 في المئة من سكان غزة، تعرضوا للجوع الشديد في أسوأ أزمة منذ منتصف أبريل إلى نهاية يونيو

وذكرت إسرائيل سابقا أنها سمحت بدخول مساعدات كافية إلى القطاع خلال الحرب. ورفضت وحدة تنسيق أعمال الحكومة الإسرائيلية في المناطق، الذراع العسكرية الإسرائيلية المسؤولة عن الإشراف على تدفق المساعدات إلى غزة، تقرير التصنيف المرحلي ووصفته بأنه متحيز.

وقالت إن كميات كبيرة من المواد الغذائية والمياه والإمدادات الطبية دخلت غزة منذ وقف إطلاق النار، واتهمت حركة حماس بتحويل مسار إمدادات المساعدات ونهبها. وحذرت منظمات الإغاثة من أن غزة تواجه انهيارا لم يسبق له مثيل في شبكات المياه والصرف الصحي.

واندلعت الحرب عندما هاجم مقاتلون بقيادة حماس جنوب إسرائيل التي تقول إن الهجوم أسفر عن مقتل 1200، معظمهم من المدنيين، واحتجاز 251 رهينة.

ويقول مسؤولو قطاع الصحة في غزة إن الهجوم الإسرائيلي الذي أعقب ذلك قتل أكثر من 73 ألف فلسطيني معظمهم من المدنيين.

العرب
السبت 2026/07/25
السنة 49 العدد 13870

انتهاء عصر الكاتب وبداية عصر المفكر

حين يصبح السؤال أهم من الجواب والفكرة أهم من الصياغة

عندما نتحدث عن الكتابة في زمن الذكاء الاصطناعي، فإننا لا نتحدث عن مجـرد تطور تقني عابر، بل عن تحوّل جذري فـي طبيعة المعرفة وأدوات إنتاجها. الكتابة، التي كانت لقرون طويلة معيارًا للثقافة ووسـيلة للتعبير عن الفكر، تواجه اليوم تحديًا وجوديًا يشبه ما واجهته الحرف اليدوية عند ظهور الصناعة الحديثة.

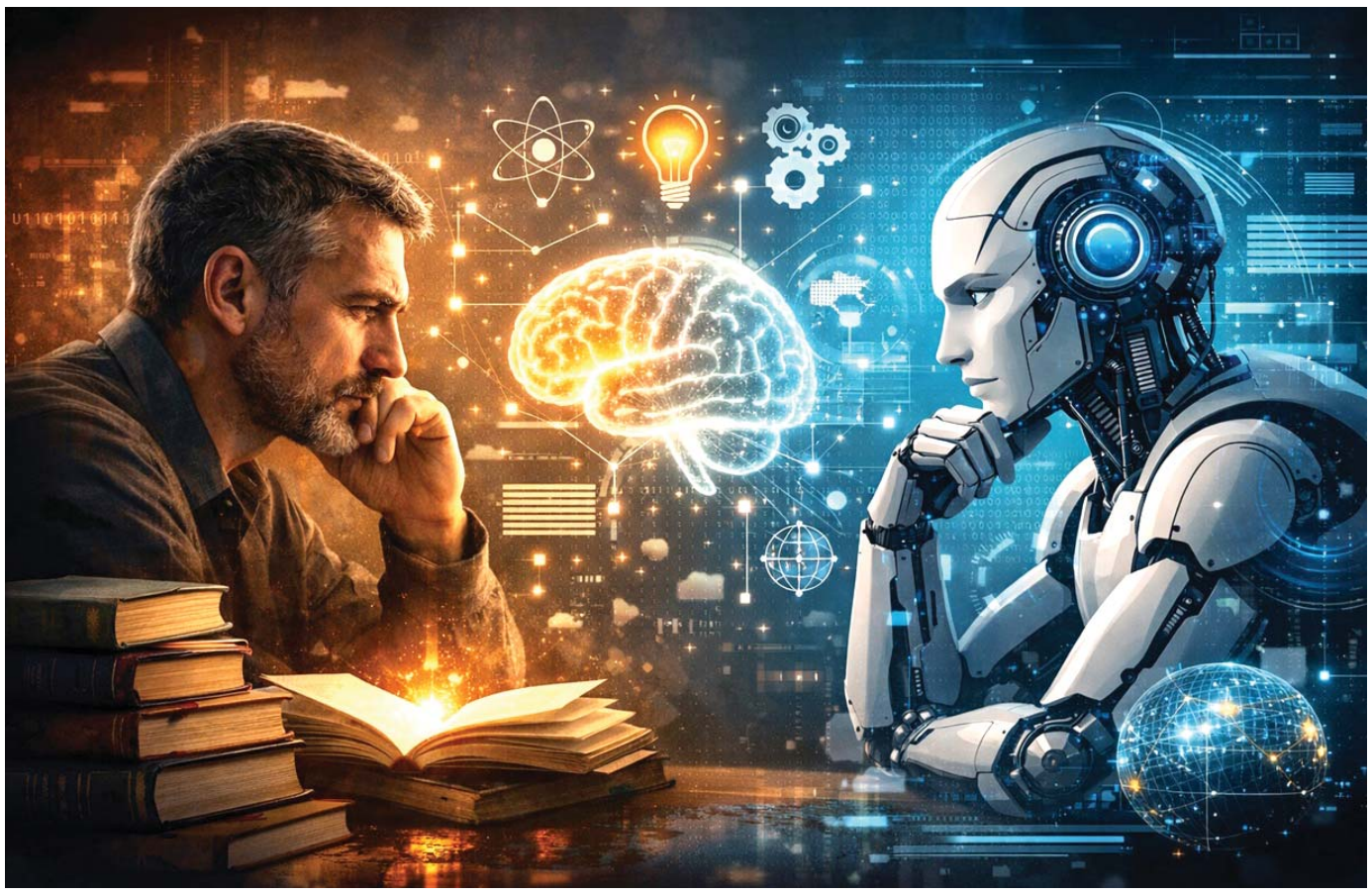

الكاتب الذي لا يتحول إلى مفكر سيجد نفسه خارج التاريخ

علي قاسم
كاتب سوري

كما أن النسّاج اليدوي الذي كان يفتخر بمهارتـه في صناعة القماش وجد نفسـه أمـام آلات قـادرة على إنتـاج أضعاف ما يصنعـه في وقت أقصـر وبكلفة أقل، كذلك يجد الكاتب نفسه اليوم أمام أدوات قادرة علـى صياغة النصوص بسـرعة ودقة، بل وبقـدرة على محـاكاة الأسـاليب الأدبية المختلفة.

هذا التحـول لا يعني أن الكتابة فقدت قيمتهـا، بل يعنـي أن وظيفتهـا تغيّرت. لم تعـد الكتابة مجرد حرفـة لغوية قائمة على التراكيـب والقواعـد والمفردات، بل أصبحـت أداة ضمـن منظومـة معرفيـة أوسـع، حيث يبرز دور المفكر الذي يوجّه هـذه الأدوات ويمنحها المعنـى. فالذكاء الاصطناعـي يسـتطيع أن يكتـب، لكنه لا يستطيع أن يفكر؛ يستطيع أن يصوغ، لكنه لا يستطيع أن يبتكر سؤالًا جديدًا أو يطرح رؤية فلسـفية أو يحدد أولويات أخلاقية. هنا يظهـر الفرق بيـن الكاتـب التقليدي والمفكر المعاصر: الأول يكتفي بالصياغة، والثاني يبتكر المعنى ويوجه الأداة.

> **الكتابة لم تعد حرفة بل أداة للفكر؛ والمفكر هو من يمنح النصوص معناها، يحدد اتجاه الثقافة، ويقود العلاقة بين الإنسان والتقنية**

إن الحديث عن "انتهـاء عصر الكاتب وولادة عصـر المفكر" ليس مبالغة، بل هو توصيف لواقع يتشكل أمام أعيننا.

فكمـا أن الثـورة الصناعيـة لـم تُلغِ الحرف اليدوية لكنهـا حوّلتها إلى تراث، كذلك سـيفعل الذكاء الاصطناعي بالكتابة التقليدية. سـيبقى هناك كتّاب يمارسـون الصياغـة كفـن أو كهوايـة، لكـن القيمة الحقيقيـة سـتنتقل إلى المفكريـن الذين يوجّهـون الأدوات ويحـددون مسـارات النقـاش. هـذا التحول سـيعيد تشـكيل الصحافـة والأدب والبحـث العلمـي والتعليـم، لأنـه سـيغيّر مفهـوم المؤلف والكاتب، ويجعل من المفكر محور العملية المعرفية.

من هنا، يصبح السـؤال الأساسـي: كيف يمكن للكاتـب أن يتحول إلى مفكر؟ وكيـف يمكن للمجتمـع أن يعيد تعريف الكتابة بحيث تصبح أداة للفكر لا مجرد حرفة لغوية؟

أزمة الكتابة التقليدية

حيـن نتأمل في وضـع الكتابة اليوم، نجـد أنهـا تواجـه أزمـة غير مسـبوقة. فالكتابـة التي كانت تُعتبـر لقرون طويلة معيارًا للثقافة ووسـيلة للتعبير عن الفكر، أصبحـت اليـوم مهددة بفقـدان وظيفتها الأساسـية. لـم تعد مجـرد مهـارة لغوية قائمة على التراكيب والقواعد والمفردات، بـل أصبحت في نظـر كثيرين مجرد حرفة يمكن للآلـة أن تؤديهـا بكفاءة وسـرعة. هـذا التحول يضع الكاتـب التقليدي أمام سـؤال مصيري: ما الذي يميّزه عن الذكاء الاصطناعـي الـذي يسـتطيع أن يكتـب نصوصًا متماسـكة، بل ويقلد الأسـاليب الأدبية المختلفة؟

الكاتب التقليدي كان يُقاس بقدرته على صياغة الجمـل، وإتقان اللغـة، وإبداع الصور البلاغية. لكن هذه المهارات لم تعد حكرًا على البشر. أدوات الذكاء الاصطناعي اليوم قادرة على إنتاج نصوص بمستوى لغوي عال، وبسرعة تفوق أي إنسان. هذا يعني أن القيمة التي كان الكاتب يقدّمها من خلال مهارته اللغوية وحدها لم تعد كافية.

الأزمـة هنا ليسـت فـي اللغة نفسـها، بل في الوظيفـة التي يؤديها الكاتب. فإذا كان دوره محصورًا في إنتاج نصـوص جميلة أو صحيحـة لغويًا، فإن الآلـة تسـتطيع أن تحل مكانه بسـهولة. لكـن إذا كان دوره أعمق، أي إنتاج الأفكار وصياغـة الأسـئلة الكبـرى، فـإن الآلة لا تسـتطيع أن تنافسـه. المشـكلة أن كثيرًا من الكتّاب ما زالـوا يتعاملون مع الكتابة كحرفـة لغويـة، لا كأداة فكريـة. وهذا ما يجعلهم عرضة لأن يتحولوا إلى "حرفيين تراثيين"، مثل النسّـاج اليدوي الذي بقي يمارس مهنته بعـد الثورة الصناعية، لكن ليس كجزء من الاقتصاد الحديث، بل كجزء من التراث السياحي.

إن أزمـة الكتابـة التقليديـة تتجلـى أيضًا فـي الصحافة والأدب والتعليم. ففي الصحافة لم يعـد الخبر أو التقرير يعتمد على مهارة الكاتب وحدها، بل على سـرعة الوصول إلى المعلومـات وتحليلها. وفي الأدب أصبح من الممكن للذكاء الاصطناعي أن يكتب قصصًا وروايات بأسـلوب مقنع، ما يضع الكاتب أمام تحدي أن يقدّم شـيئًا يتجاوز مجرد السرد. وفي التعليم، لم يعد الطالب بحاجة إلى معلم يشرح له القواعد اللغويـة، لأن الآلة تسـتطيع أن تفعل ذلك بكفاءة. هذا كله يعكس أن الكتابة التقليدية لـم تعد كافيـة بذاتها، بل تحتـاج إلى أن تُدمج في منظومة فكرية أوسع.

الأزمة أيضًا ذات بعد ثقافي. فالمجتمع الـذي كان يقدّر الكاتب لمهارتـه اللغوية، سيجد نفسه قريبًا أمام نصوص آلية لا تقل جودة شكلية عن نصوص البشر. عندها لن يكون معيار التميّز هو جمال الأسـلوب أو دقـة القواعد، بل عمق الفكرة وقدرتها على إثارة النقاش. هذا التحول سيجبر الكتّاب على إعادة تعريف أنفسـهم: هل هم مجرد صاغـة كلمـات، أم أنهم مفكـرون قادرون على إنتاج معنى جديد؟ هذه الأزمة تشـبه ما حـدث في الثورة الصناعية، حين فقدت الحـرف اليدويـة وظيفتهـا الاقتصادية، لكنها بقيت كجزء من التراث.

إن أزمة الكتابة التقليدية تكشف أيضًا عن حاجـة المجتمـع إلى إعـادة تعريف الثقافـة نفسـها. لم تعـد الثقافـة مجرد نصوص مكتوبة، بل أصبحت منظومة من الأفكار والأسـئلة والنقاشات. وهذا يعني أن الكاتـب لم يعد يكفي أن يكون بارعًا في اللغة، بل يجب أن يكون بارعًا في الفكر.

ولادة عصر المفكر

إذا كانـت أزمـة الكتابـة التقليديـة قـد كشـفت عـن حـدود الحرفـة اللغوية فـي مواجهـة الـذكاء الاصطناعـي، فإن ولادة عصـر المفكـر تمثـل الوجـه الآخر لهذه الأزمـة، الوجه الذي يحمـل إمكانية التجـدد والتحـول. فالمفكر ليـس مجرد كاتـب بارع فـي الصياغـة، بل هـو عقل قـادر على إنتـاج معنى جديـد، وصياغة أسـئلة كبـرى، وتوجيـه الأدوات التقنية نحو أهداف معرفيـة وأخلاقية. هنا يكمن الفـرق الجوهري: الكاتـب التقليدي يكتب نصوصًا، أما المفكر فينتج أفكارًا، ويضع للنصوص سـياقًا ومعنـى يتجاوز حدود اللغة.

ولادة عصر المفكر ترتبط بوعي جديد بـأن النصـوص وحدها لـم تعـد كافية. فالمجتمع الـذي كان يقدّر الكاتب لمهارتـه اللغوية، أصبح اليوم أمام نصوص آلية لا تقل جودة شكلية عن نصوص البشر. عند هذه النقطة، يصبح السؤال: ما الذي يميز الإنسـان عن الآلة؟ الجواب هو القدرة على التفكير النقدي، على طرح الأسـئلة التي لا يمكن للآلة أن تبتكرها، وعلى صياغة رؤى فلسـفية وسياسـية وثقافية تعيد تعريف الواقع.

إن ولادة عصـر المفكـر تعنـي أن القيمة لم تعـد في الكلمات نفسها، بل في الأفكار التي تمنحها معنى. المفكـر هو من يحدد أولويـات المجتمع، مـن يناقش القضايا الكبرى، من يربط بين الماضي والحاضر والمستقبل، ومن يضع الأسـئلة التي تحرك النقاش العام. في هذا السـياق، يصبح الذكاء الاصطناعي مجرد أداة، مثـل القلم أو الطباعـة، بينما يبقى المفكر هو المصدر الحقيقي للمعنى.

هذا التحـول يعيد تعريف العلاقة بين الإنسـان والتقنيـة. فالـذكاء الاصطناعي يسـتطيع أن يكتـب، لكنه لا يسـتطيع أن يقـرر مـا الـذي يجـب أن يُكتـب ولماذا. يسـتطيع أن يصوغ، لكنه لا يسـتطيع أن يحدد الأولويات أو أن يضع رؤية فلسـفية أو سياسـية. هنا يظهـر دور المفكر الذي يسـتخدم الذكاء الاصطناعي كأداة لتعزيز إنتاجه الفكري، لا كمنافس له.

في الصحافة، سيصبح المفكر هو من يحدد القضايـا الكبرى، بينما يقوم الذكاء الاصطناعـي بصياغة الأخبـار والتقارير. في الأدب، سـيصبح المفكـر هو من يبتكر الـرؤى الفلسـفية والرمزيـة، بينما يمكن للآلة أن تكتـب القصـص والروايات. في التعليـم، سـيصبح المفكر هـو من يحدد المناهـج والأسـئلة الكبـرى، بينما يمكن للآلة أن تشـرح القواعـد والمفردات. هذا التحـول يعكـس أن القيمـة لـم تعـد في النصوص نفسـها، بـل في الأفـكار التي تمنحها معنى.

إن ولادة عصـر المفكر ليسـت مجرد تحـول مهنـي، بـل هـي تحـول ثقافـي وفلسفي. إنها تعني أن الإنسان سيظل في قلب العملية المعرفيـة، لأنه هو من يبتكر المعنى، وهو من يحدد الأولويات، وهو من يضع الأسـئلة الكبرى. الذكاء الاصطناعي يسـتطيع أن يكتـب، لكنه لا يسـتطيع أن يفكر. يستطيع أن يصوغ، لكنه لا يستطيع أن يبتكـر رؤيـة جديـدة. هنـا يظهر دور المفكر الذي يظل في قلب المشهد.

> **انتهى عصر الكاتب الذي يكتفي بالصياغة وبدأ عصر المفكر الذي يطرح الأسئلة الكبرى ويوجه الذكاء الاصطناعي نحو أهداف معرفية**

الذكاء الاصطناعي كأداة لا كبديل

حين نتحدث عن الذكاء الاصطناعي في سـياق الكتابة والفكر، فإننا نواجه سؤالًا جوهريًـا: هل هو بديل للإنسـان أم مجرد أداة في يده؟ الواقع أن الذكاء الاصطناعي، مهمـا بلغ مـن تطـور، لا يمكـن أن يكون بديلًا عن الإنسـان في إنتـاج المعنى. هو قادر علـى صياغة النصوص، على محاكاة الأسـاليب، علـى إنتـاج آلاف الكلمات في دقائق، لكنه يظل عاجزًا عن ابتكار سـؤال جديـد أو صياغة رؤية فلسـفية أو تحديد أولويـات أخلاقية. هنا يظهـر الفرق بين الأداة والبديل: الأداة تعزز قدرة الإنسـان، أما البديل فيلغيها.

الذكاء الاصطناعي يشبه الطباعة حين ظهرت في القرن الخامس عشر. الطباعة لم تلغ الكتابة، لكنها غيّرت وظيفتها، وجعلت الكَاتـب أكثر قدرة على نشـر أفكاره. كذلك يفعل الذكاء الاصطناعي اليوم: هو لا يلغي الكتابة، بل يعيـد تعريفها، ويجعل المفكر أكثر قـدرة على إنتـاج الأفكار ونشـرها. المفكر الذي يسـتخدم الذكاء الاصطناعي كأداة يسـتطيع أن يضاعـف إنتاجـه، أن يختبر فرضياته بسرعة، أن يحلل البيانات بكفـاءة، وأن يوجّـه النقـاش العـام نحو قضايا أكثر عمقًا.

لكن الخطر يكمن في أن يتعامل الكاتب مـع الـذكاء الاصطناعي كبديـل لا كأداة. حينهـا يفقد دوره، ويصبـح مجرد متفرج علـى نصوص تُنتج آليًا بـلا روح. أما إذا تعامل معه كأداة، فإنه يظل في قلب العملية المعرفية، لأنه هو من يحدد الأسـئلة، وهو مـن يوجّه الأداة، وهو من يمنح النصوص معناهـا. الذكاء الاصطناعي يسـتطيع أن يكتـب تقريـرًا أو مقالًا، لكنه لا يسـتطيع أن يقـرر مـا الـذي يجب أن يُكتـب ولماذا. هذه هـي وظيفة المفكر، التـي لا يمكن أن تُستبدل.

في الصحافة، يمكن للذكاء الاصطناعي أن يجمـع الأخبـار ويكتـب التقارير، لكن المفكر هـو من يحـدد القضايـا الكبرى، مـن يربط بيـن الأحداث، مـن يضعها في سـياقها التاريخي والسياسي. في الأدب، يمكـن للذكاء الاصطناعي أن يكتب روايات بأسـلوب مقنع، لكن المفكـر هو من يبتكر الرمـوز والمعانـي، مـن يطرح الأسـئلة الوجوديـة، من يعيد تعريـف العلاقة بين الإنسان والعالم.

الـذكاء الاصطناعي أيضًـا يفتح أمام المفكـر آفاقًا جديدة. فهو قادر على تحليل ملاييـن البيانات فـي وقت قصيـر، على محاكاة سـيناريوهات معقـدة، على تقديم رؤى إحصائية دقيقة. هذا يعني أن المفكر الذي يستخدمه يستطيع أن يوسع أفقه، أن يختبر أفـكاره، أن يعزز حججه. لكنه يظل هو من يقرر ما الـذي يهم، وما الذي يجب أن يُناقش، وما الذي يجب أن يُكتب.

إن التعامـل مـع الـذكاء الاصطناعي كأداة لا كبديـل هو ما سـيحدد مسـتقبل الكتابة والفكر. إذا اعتبرنـاه بديلًا، فإننا نفقـد الإنسـان، ونفقـد المعنـى، ونفقد القدرة على طرح الأسـئلة الكبرى. أما إذا اعتبرنـاه أداة، فإننا نعزز قدرة الإنسـان، ونوسع أفقه، ونمنحه قوة جديدة. هذا هو التحدي الـذي يواجه الكتّـاب والمفكرين اليوم: أن يتعلموا كيف يستخدمون الذكاء الاصطناعي كأداة، لا أن يخافوا منه كبديل.

ولادة عصـر المفكـر تعنـي أن الذكاء الاصطناعي سيظل حاضرًا، لكنه لن يكون هـو من يقود. المفكر هو من يقود، والذكاء الاصطناعي هو من ينفذ.

انعكاسات ثقافية ومعرفية

إن التحول من عصر الكاتب إلى عصر المفكـر، ومـن الكتابة كحرفـة لغوية إلى الكتابة كأداة للفكر، لا يقتصر على المجال المهنـي وحـده، بـل يمتد ليعيد تشـكيل الثقافـة والمعرفـة في عمقهـا. نحن أمام انعكاسـات واسعة تتجاوز النصوص إلى بنيـة المجتمع نفسـه، لأن الثقافة لم تعد تُقاس بكمية ما يُكتب، بل بقدرة النصوص علـى إنتاج معنى جديـد وتحريك النقاش العام.

أول هـذه الانعكاسـات يظهـر فـي الصحافـة. الصحافة التي كانت تقوم على مهارة الكاتب في صياغة الخبر أو التقرير، ستجد نفسـها مضطرة إلى إعادة تعريف دورهـا. لم يعـد يكفي أن تُنتـج نصوصًا سـريعة، لأن الذكاء الاصطناعي قادر على ذلك بكفاءة. القيمة الحقيقية سـتنتقل إلى الصحافـي المفكـر، الذي يحـدد القضايا الكبـرى، ويضـع الأحـداث في سـياقها التاريخي والسياسي، ويبتكر زوايا جديدة للنقاش. هذا يعني أن الصحافة سـتتحول مـن مجرد نقل الأخبار إلـى إنتاج الأفكار، ومن مجـرد صياغة النصوص إلى صياغة الرؤى.

فـي الأدب، الانعكاسـات أكثـر عمقًا. الأدب الـذي كان يُقـاس بجمـال اللغـة والأسلوب، سيجد نفسـه أمام منافسة من نصوص آلية قادرة على محاكاة الأساليب الأدبية. لكن الأدب الحقيقي ليس في اللغة وحدها، بل في الرموز والمعاني والأسئلة الوجوديـة التي يطرحها. هنـا يظهر دور المفكر الأديب، الذي لا يكتفي بالسـرد، بل يبتكر رؤى فلسـفية تعيـد تعريف العلاقة بين الإنسان والعالم. الأدب في عصر الذكاء الاصطناعي سيظل حيًا، لكنه سيحتاج إلى أن يكون أكثر فكرًا وأقل حرفة لغوية.

أمـا فـي التعليم، فـإن الانعكاسـات سـتكون جذريـة. التعليم الـذي كان يقوم على شـرح القواعـد والمفردات، سـيجد نفسـه أمام أدوات قادرة علـى القيام بذلك بكفـاءة أكبر. لكن التعليـم الحقيقي ليس في القواعد وحدها، بل في الأسئلة الكبرى التـي تربـط المعرفة بالواقـع. هنا يظهر دور المفكر المعلّـم، الذي لا يكتفي بتلقين المعلومات، بل يبتكر طرقًا جديدة للتفكير، ويضع الأسـئلة التي تحرك عقول الطلاب. التعليـم فـي عصـر الـذكاء الاصطناعي سـيحتاج إلى أن يكون أكثر فلسـفة وأقل تلقينًا.

البحـث العلمـي أيضًا سـيتأثر بهذا التحول. الباحث الذي كان يقضي سنوات في جمع البيانات وتحليلها، سيجد نفسه أمام أدوات قادرة على القيام بذلك بسـرعة ودقـة. لكن البحث العلمـي الحقيقي ليس فـي البيانـات وحدها، بل فـي الفرضيات والأسـئلة التي يطرحها الباحث. هنا يظهر دور المفكر الباحث، الذي يسـتخدم الذكاء الاصطناعـي كأداة لتعزيـز إنتاجـه، لكنه يظل هو من يحـدد ما الذي يهم، وما الذي يجب أن يُناقش، وما الذي يجب أن يُكتب.

الانعكاسات الثقافية والمعرفية أيضًا تتعلـق بمفهوم المؤلـف والكاتب. لم يعد المؤلـف مجـرد مـن يكتب نصوصًـا، بل أصبـح من يبتكـر أفكارًا. لم يعـد الكاتب مجـرد من يصـوغ كلمات، بـل أصبح من يحدد اتجاه الثقافة. هذا التحول سـيعيد تشكيل الصحافة والأدب والتعليم والبحث العلمـي، لأنـه سـيغيّر مفهـوم المؤلـف والكاتب، ويجعل من المفكر محور العملية المعرفية.

إن ولادة عصـر المفكر سـتعيد أيضًا تعريـف العلاقة بيـن الإنسـان والتقنية. لم تعـد التقنيـة مجـرد أداة محايدة، بل أصبحـت جزءًا مـن الثقافة نفسـها. هذا يعنـي أن المفكر سـيحتاج إلـى أن يكون قادرًا على التعامل مع التقنية، على فهمها، علـى توجيهها. الـذكاء الاصطناعي ليس مجرد أداة للكتابة، بل هو جزء من الثقافة، والمفكر هو من يحدد كيف يُستخدم، ولأي غاية، وبأي معنى.

الانعكاسـات أيضًـا ذات بعد أخلاقي. فالـذكاء الاصطناعـي قـادر علـى إنتاج نصوص، لكنـه لا يملك بوصلـة أخلاقية. هنا يظهر دور المفكر الذي يحدد المعايير الأخلاقية، الذي يطرح الأسئلة حول معنى النصـوص، حول تأثيرهـا على المجتمع، حول علاقتها بالقيم الإنسـانية. هذا يعني أن ولادة عصر المفكر ليسـت مجرد تحول معرفي، بل هي أيضًا تحول أخلاقي، يعيد تعريـف العلاقة بين الإنسـان والنصوص والتقنية.

في النهاية، يمكن القول إن انعكاسات هـذا التحـول سـتعيد تشـكيل الثقافـة والمعرفـة في عمقها. لم تعد الثقافة مجرد نصوص مكتوبة، بل أصبحت منظومة من الأفكار والأسئلة والنقاشات. لم يعد الكاتب مجرد صائغ كلمـات، بل أصبح المفكر هو من يحدد اتجاه الثقافة.

الكاتب الذي لا يتحول إلى مفكر سيجد نفسـه خارج التاريخ، أمـا المفكر فهو من سـيظل في قلب المشهد، لأنه هو من يمنح النصـوص معناها، وهـو مـن يضع الأسـئلة الكبرى. الذكاء الاصطناعي سيظل حاضرًا، لكنه لن يكـون هو من يقود؛ المفكـر هو من يقود، والـذكاء الاصطناعـي هو مـن ينفذ. هذه العلاقة هي التي سـتجعل من ولادة عصر المفكر لحظة فاصلة في تاريخ الإنسـانية، حيـث يصبح السـؤال أهم مـن الجواب، والفكـرة أهم من الصياغـة، والمعنى أهم من الكلمات.

العرب
السبت 2026/07/25
السنة 49 العدد 13870

شركات التأمين تتهافت على مشاريع النفط خارج الشرق الأوسط

الأسعار المرتفعة والبحث عن إمدادات آمنة يحفزان موجة جديدة من الاستثمارات العالمية في قطاع التنقيب

مع تنامي الاستثمارات في مشاريع النفط والغاز خارج الشرق الأوسط، تتسابق شركات التأمين العالمية للفوز بعقود تغطية المشاريع الجديدة في مناطق إنتاج ناشئة بعيدا عن الحرب في المنطقة، مع انتقال جانب متزايد من الفرص إلى أسواق توفر آفاق نمو واعدة وتوزيعا أفضل للمخاطر.

موسم جني المزيد من المكاسب

لندن - أدت الحرب في الشرق الأوسط إلى تغيير جذري في تغطية مشاريع التنقيب عن النفط والغاز بعد أن تخلصت شركات التأمين العالمية من ضغوط معايير الحوكمة البيئية والاجتماعية والمؤسسية التي بدأت في مطلع هذا العقد.

وتحولت منطقة إنتاج النفط والغاز الأقل تكلفة في العالم إلى منطقة حرب في نهاية فبراير، حيث تواجه أقساط التأمين المتعلقة بمخاطر الحرب ومشاريع حفر وبناء النفط والغاز إما تأخيرات أو تضخمًا كبيرًا في التكاليف.

ودفعت خمسة أشهر من عدم اليقين بشأن مشاريع النفط والغاز الجديدة في الشرق الأوسط شركات التأمين العملاقة إلى التوجه نحو تغطية مشاريع الحفر والإنشاء خارج هذه المنطقة الغنية بالموارد ولكنها شديدة التقلب.

وتقول تسفيتانا باراسكوفا المحررة في منصة "أويل برايس" الأميركية إن المنافسة تشتد لجذب أعمال التأمين في أحواض النفط والغاز الأقل تأثراً بالتوترات الجيوسياسية.

وتقوم شركات التأمين بتخفيض أقساط التأمين على مشاريع الطاقة الأولية التي لا تعتمد على مضيق هرمز، الذي يُغلق ويُفتح بشكل متقطع، وغيره من الممرات المائية الحيوية في الشرق الأوسط.

تسفيتانا باراسكوفا

المنافسة تشتد في الأعمال الأقل تأثرا بالتوترات الجيوسياسية

روبرت ماكنزي

شركات التأمين ترى أن الطاقة تستحق استمرار تغطيتها

وانخفضت أقساط التأمين على مشاريع الطاقة الأولية خارج الشرق الأوسط بنحو 25 في المئة منذ بداية العام الحالي، وفقاً لما أفاد به وسطاء تأمين لصحيفة فايننشال تايمز.

وفي بعض الحالات خفضت بعض شركات التأمين الأقساط بنسبة تصل إلى 50 في المئة، حتى مع تكبدها خسائر قصيرة الأجل، بحسب مصادر مطلعة في القطاع تحدثت إلى فايننشال تايمز.

ووفق باراسكوفا يبدو السبب واضحا، فمع زيادة شركات الطاقة لاستثماراتها في الأحواض والمشاريع خارج الشرق الأوسط، تتنافس شركات التأمين على حصة من مشاريع التنقيب والإنتاج العالمية التي تقلصت مساحتها حاليًا، والتي لا تقع في مناطق نزاعات مسلحة.

وصرح روبرت ماكنزي، وسيط تأمين الموارد الطبيعية في شركة دبليو. تي.دبليو، لصحيفة فايننشال تايمز قائلا إنه "لطالما كان قطاع التنقيب والإنتاج في قطاع الطاقة مربحًا للغاية لسنوات عديدة".

وأضاف الوسيط "ترى شركات التأمين أن هذا القطاع يستحق استمرار تغطيتها التأمينية".

وفي تقرير صدر في أبريل بعنوان "مراجعة سوق الطاقة 2026"، ذكر زملاء ماكنزي في دبليو.تي.دبليو أن "التصنيفات التأمينية في أدنى مستوياتها".

وأشارت دبليو.تي.دبليو في تقريرها السنوي، الذي نُشر بعد مرور شهر ونصف الشهر على بدء الحرب الإيرانية، إلى "توفّر تخفيضات تتراوح بين 15 و20 في المئة للمخاطر الأساسية في قطاع التنقيب والإنتاج، والتي لا تشهد خسائر تُذكر، مع وجود تخفيضات تتجاوز 40 في المئة في حالات استثنائية".

وبحسب دبليو.تي.دبليو، فإنّ "الاتجاه العام للأسعار واضح لا لبس فيه: فحتى بعد عقد من التراجع، لا يزال السوق يشهد مزيدًا من الانخفاض".

> **50**
> في المئة خفض الشركات لأقساط التأمين للمشاريع في مناطق بعيدة عن الشرق الأوسط

وأوضح ماكنزي لصحيفة فايننشال تايمز أن الحرب الإيرانية وتحوّل الشرق الأوسط إلى ساحة حرب نشطة دفعا أكبر شركات النفط والغاز العالمية إلى البحث عن مشاريع استكشاف وإنتاج النفط والغاز بعيدًا عن المنطقة.

وفي خضم الصراع في الشرق الأوسط، تسعى شركات النفط الكبرى إلى تقليل خسائرها الناتجة عن انخفاض الإنتاج وعدم استخراج النفط بسبب أزمة مضيق هرمز.

وتراهن هذه الشركات على مشاريع التنقيب والإنتاج ذات الأثر الكبير في مناطق حيوية مثل غيانا وسورينام وناميبيا والبرازيل وتركيا وقبرص، على سبيل المثال لا الحصر.

وتُضاعف شركتا إكسون وشيفرون استثماراتهما في مليارات براميل النفط الخام المكتشفة قبالة سواحل غيانا.

وفي سياق منفصل تُعزز شيفرون أعمالها في فنزويلا، حيث تأمل إدارة الرئيس دونالد ترامب أن تزيد الشركات الأميركية إنتاجها وصادراتها النفطية إلى الولايات المتحدة.

من جانبها، تتوقع إكسون استثمار مليارات الدولارات الأميركية في حقول النفط والغاز في المياه العميقة النيجيرية.

وتُحرز إكسون تقدماً في مشروع أووو للمياه العميقة قبالة سواحل نيجيريا، والذي تبلغ قيمته 7 – 8 مليارات دولار، وتدرس اتخاذ قرار استثماري نهائي في أقرب وقت ممكن من العام المقبل، وفقاً لما صرّح به هانتر فارس، نائب الرئيس الأول لقسم المياه العميقة في شركة إكسون موبيل للتنقيب والإنتاج، في أبريل.

وهذا مجرد واحد من مشاريع إكسون الجديدة في أكبر منتج للنفط في أفريقيا، والتي رفعت مبيعاتها من النفط الخام في آسيا خلال الأشهر الأخيرة، في ظل معاناة مصافي التكرير من النقص الحاد في الإمدادات من الشرق الأوسط.

وقد خصصت إكسون موبيل التابعة لها في نيجيريا وشركاؤها، في وقت سابق من هذا الشهر، مليار دولار لأنشطة مشروع أوسان إنفيل في منطقة امتياز النفط رقم 138.

وسيساهم هذا المشروع في زيادة إنتاج النفط الخام بمقدار 40 ألف برميل إضافية خلال 18 شهرًا.

كما أشارت الهيئة النيجيرية لتنظيم قطاع النفط والغاز في أوائل يوليو الجاري إلى أن هذا المشروع "يعكس اهتمامًا متجددًا وأملاً في نيجيريا، كونه أول مشروع رئيسي لشركة إكسون موبيل في المياه العميقة في البلاد منذ عام 2016".

رسوم جمركية أميركية جديدة تنذر بتصاعد حدة النزاعات التجارية

واشنطن - تثير الرسوم الجمركية الأميركية الجديدة على واردات من أكثر من 80 دولة مخاوف من تصاعد النزاعات التجارية العالمية في وقت يشهد فيه الاقتصاد الدولي تباطؤاً في النمو واستمرار الضغوط على سلاسل الإمداد.

ويرى محللون أن الخطوة قد تدفع عدداً من الشركاء التجاريين إلى اتخاذ إجراءات مضادة، بما يزيد حالة عدم اليقين ويهدد بتقويض تدفقات التجارة والاستثمار عبر الحدود.

ودخلت هذه الرسوم حيز التنفيذ الجمعة، في خطوة تعكس إصرار إدارة الرئيس دونالد ترامب على إعادة صياغة السياسة التجارية للولايات المتحدة رغم العراقيل القضائية التي واجهتها في الأشهر الماضية.

وتستند الإجراءات إلى المادة 301 من قانون التجارة الأميركي، وسط تأكيد واشنطن أنها تستهدف تعزيز المنافسة العادلة من خلال ربط الرسوم بمعايير مكافحة العمل القسري.

ويرى منتقدو هذه الخطوة المثيرة للجدل أنها تمثل محاولة للالتفاف على حكم المحكمة العليا وإحياء السياسة الحمائية.

وفرضت الحكومة الأميركية رسوماً تتراوح بين 10 و12.5 في المئة لتحل محل الرسم العالمي المؤقت البالغ 10 في المئة، الذي كانت الإدارة قد طبقته عقب إبطال المحكمة العليا الأساس القانوني لرسوم جمركية أوسع.

وقال البيت الأبيض إن "القرار يستند إلى نتائج تحقيق تجاري خلص إلى أن عدداً من الشركاء التجاريين لا يطبق بصورة كافية القوانين التي تحظر استيراد السلع المنتجة باستخدام العمل القسري"، وهو ما تعتبره الإدارة إخلالاً بشروط المنافسة.

وشملت الرسوم الجديدة 11 دولة عربية بنسبة 12.5 في المئة هي السعودية والإمارات والبحرين والكويت وقطر وسلطنة عُمان ومصر والعراق والجزائر وليبيا والمغرب، بينما خضعت الواردات القادمة من الأردن لرسم بنسبة عشرة في المئة.

> **11**
> دولة عربية شملتها رسوم بمقدار 12.5 في المئة باستثناء صادرات الأردن بنحو 10 في المئة

كما امتدت نسبة 12.5 في المئة إلى عدد من الاقتصادات المتقدمة، من بينها اليابان وكوريا الجنوبية وسويسرا والنرويج وأستراليا ونيوزيلندا وسنغافورة.

واستثنت الإجراءات الجديدة النفط والغاز والوقود والأغذية والأسمدة وبعض الموارد الطبيعية، إضافة إلى السلع المشمولة باتفاق الولايات المتحدة والمكسيك وكندا.

وكذلك تم إعفاء المنتجات التي تخضع بالفعل لرسوم خاصة، مثل السيارات والصلب وبعض المعادن والأدوية. كما لن تسري الرسوم على البضائع التي شُحنت قبل دخول القرار حيز التنفيذ.

وتؤكد الإدارة الأميركية أن التحقيق وفر أساسا قانونيا جديدا لسياستها التجارية بعد أن قضت المحكمة العليا في فبراير الماضي بعدم قانونية استخدام قانون الطوارئ الاقتصادية الدولية لفرض رسوم واسعة، وأمرت برد 160 مليار دولار من الإيرادات المحصلة.

> **الحكومة الأميركية فرضت رسوما تتراوح بين 10 و12.5 في المئة لتحل محل الرسم العالمي المؤقت البالغ 10 في المئة**

ومع ذلك، يرى منتقدون أن الإدارة تستخدم ملف العمل القسري كغطاء قانوني لإعادة فرض الرسوم التي سبق أن أسقطها القضاء.

وأبلغ مسؤولو إدارة ترامب نظراءهم الصينيين بأنهم يعتزمون إعادة فرض الرسوم التي كان ترامب قد حددها على السلع الصينية لتصل إلى 20 في المئة التي تم الاتفاق عليها في الهدنة التجارية مع الرئيس شي جينبينغ في نوفمبر الماضي دون تجاوز هذا المستوى.

وقبل الإجراء المتخذ الجمعة، كانت نسبة الرسوم على بضائع الصين انخفضت إلى 10 في المئة، باستثناء نسبة 25 في المئة فرضت خلال ولاية ترامب الأولى على السلع الصناعية.

وأثارت الخطوة الجديدة ردود فعل دولية متباينة، فقد وصفت مسؤولة السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي كايا كالاس الرسوم بأنها "غير مبررة"، مؤكدة أن الاتحاد الأوروبي يطبق معايير عمل صارمة، بحسب ما أوردته وكالة رويترز.

وتعليقا على الخطوة، قال وزير التجارة الأسترالي دون فاريل إن القرار "غير مبرر على الإطلاق"، وتعهد بمواصلة الضغط لإلغاء الرسوم على الصادرات الأسترالية.

أما البرازيل فاعتبرت الإجراءات "تعسفية"، وأعلنت أنها ستفعّل آليات الرد بموجب قانون المعاملة بالمثل، إلى جانب اللجوء إلى آلية تسوية المنازعات في منظمة التجارة العالمية.

في المقابل، تبنت بعض الدول الآسيوية موقفاً أكثر حذراً، إذ أكدت ماليزيا أنها ستواصل التفاوض مع واشنطن بعد أن خضعت صادراتها لرسم بنسبة 10 في المئة.

قوة المنافسة تبدد آمال فولكسفاغن في نمو المبيعات عام 2026

برلين - تواجه فولكسفاغن مرحلة مفصلية في مسارها التشغيلي، بعدما أجبرتها التحديات التجارية العالمية والمنافسة المتصاعدة في سوق السيارات الكهربائية على خفض توقعاتها للإيرادات لعام 2026.

ويأتي ذلك بالتوازي مع تسريع برنامج إعادة هيكلة يستهدف تقليص الطاقة الإنتاجية وخفض النفقات لاستعادة هوامش الربحية وتعزيز تنافسيتها في الأسواق العالمية.

ولم تعد الشركة الألمانية لصناعة السيارات تتوقع نموًا في الإيرادات هذا العام، بعد أن خفضت توقعاتها السابقة الجمعة، مما يمهد الطريق لإعادة هيكلة جذرية استجابةً للرسوم الجمركية الباهظة والمنافسة المتزايدة من الصين.

وجاء هذا الإعلان مصحوبًا بنتائج الربع الثاني التي أظهرت انخفاضًا في الأرباح، حيث يضغط الرئيس التنفيذي أوليفر بلوم لإعادة هيكلة جذرية لثاني أكبر شركة لصناعة السيارات في العالم، بما في ذلك تسريح 100 ألف موظف، لجعلها أكثر قدرة على المنافسة من حيث التكلفة.

وكان بلوم يسعى إلى تنفيذ برنامج واسع لإعادة الهيكلة يشمل تقليص الطاقة الإنتاجية العالمية من 10 ملايين سيارة إلى 9 ملايين سيارة سنوياً، وخفض عدد الطرازات بما يصل إلى 50 في المئة.

ويرى محللو مؤسستي جيفريز وبيرنشتاين أن الخطة المطروحة تفتقر إلى التفاصيل التنفيذية، ولا تعكس تقدماً ملموساً في التوصل إلى توافق بين الإدارة وممثلي العمال بشأن مستقبل المجموعة.

> **الرئيس التنفيذي أوليفر بلوم يستهدف تسريح 100 ألف موظف وتقليص الطاقة الإنتاجية وخفض تشكيلة الطرازات إلى النصف**

وتصاعدت حدة التوتر داخل الشركة بالتزامن مع تنظيم نقابة آي.جي ميتال احتجاجات في مواقع الإنتاج المختلفة داخل ألمانيا، للمطالبة بضمانات بشأن مستقبل الوظائف واستمرار الإنتاج، فيما طالب مجلس العمال الإدارة بتقديم تفاصيل واضحة حول إجراءات خفض التكاليف.

وتتوقع فولكسفاغن الآن انخفاضًا يصل إلى 3 في المئة في إيرادات المبيعات هذا العام، بعد أن كانت تتوقع سابقًا نموا يصل إلى 3 في المئة.

وأبقت الشركة على توقعاتها لهامش ربح تشغيلي يتراوح بين أربعة في المئة و5.5 في المئة، وهو تحسن ملحوظ مقارنةً بنسبة 2.8 في المئة المسجلة العام الماضي.

وأعلنت مجموعة السيارات الألمانية، التي تضم شركتي بورشه وأودي، عن أرباح تشغيلية بلغت 3.5 مليار يورو (3.98 مليار دولار أميركي) خلال الفترة من أبريل إلى يونيو، بانخفاض قدره 9.5 في المئة بمقارنة سنوية.

وكان المحللون قد توقعوا تحسناً طفيفاً مقارنةً بالفترة نفسها من العام الماضي، وفقا لاستطلاع رأي أجرته شركة فيزيبل ألفا.

وبلغت إيرادات الربع الثاني من هذا العام 82.4 مليار يورو، متجاوزةً التوقعات، مما أدى إلى هامش ربح تشغيلي قدره 4.2 في المئة.

> **9.5**
> في المئة انخفاض الأرباح التشغيلية خلال الربع الثاني من العام لتبلغ 3.5 مليار يورو

وقال بلوم إن المجموعة تمكنت من تخفيف حدة "التحديات المستمرة التي لا مفر منها والتي بلغت قيمتها عشرات المليارات" في النصف الأول من عام 2026.

وأضاف "في الوقت نفسه، لا تزال بيئة صناعة السيارات بالغة الصعوبة"، مشيرًا إلى الأزمات الجيوسياسية، والنزاعات التجارية، والمتطلبات التنظيمية الصارمة، وتقلبات الأسواق، واشتداد المنافسة.

وفي انتظار المواجهة مع ممثلي العمال بشأن المقترح بمضاعفة برامج تسريح العمال الحالية وإمكانية إغلاق أربعة مصانع، تعهد بلوم بتقليص الطاقة الإنتاجية العالمية وخفض تشكيلة طرازات المجموعة إلى النصف.

وفي النصف الأول من العام سلمت فولكسفاغن سيارات أقل بنسبة 6.3 في المئة على مستوى العالم، ويعود ذلك بشكل رئيسي إلى الصعوبات المستمرة في الصين.

وأدى التراجع المطول في أكبر سوق للسيارات في العالم إلى اشتداد المنافسة بين العلامات التجارية المحلية وشركات صناعة السيارات العالمية.

وتتوقع الشركة أن تتسارع وتيرة جهودها في مجال السيارات الكهربائية في الصين في وقت لاحق من هذا العام، مع طرحها طرازات مطورة محليًا ضمن إستراتيجيتها "في الصين، من أجل الصين".

أما في أميركا الشمالية فقد تمكنت فولكسفاغن من استعادة بعض مكانتها في الربع الثاني من العام الجاري.

العرب
السبت 2026/07/25
السنة 49 العدد 13870

حرب المعلومات: خطوط التماس المباشرة في الخليج

كيف أصبحت البيئة المعلوماتية مصدر ضعف محتمل للدول الواقعة بين واشنطن وطهران، جغرافيًا وسياسيًا

أظهرت الحرب كيف يغير الذكاء الاصطناعي والقدرات السيبرانية بيئة المعلومات، حيث ينتشر المحتوى المصطنع أسرع من الحقائق. ويواجه الخليج تحديًا كبيرًا: تعزيز الصمود الأمني دون تقييد دائم للحريات والثقة العامة بالمعلومات.

جبهة موحدة

الكويت - بعد إعلان الكويت في يوليو 2026 عن استهداف إيران لمحطة توليد كهرباء وتقطير مياه، انتشر مقطع فيديو على مواقع التواصل الاجتماعي مصحوبًا بادعاء كاذب بأنه يُظهر آثار الهجوم. إلا أن هذا المقطع يعود إلى ما قبل الهجوم بنحو عام. وقد أظهرت عمليات البحث العكسي عن الصور أن المقطع نفسه يعود إلى حريق في محطة محولات كهربائية بالأردن في أغسطس 2025.

وقال محللون إن الحرب الإيرانية أظهرت كيف تُخاض الصراعات الحديثة في آنٍ واحد على ساحات المعارك الماديةً والمعلوماتية. وتتعزز العمليات العسكرية والنشاط السيبراني والتنافس على الروايات بشكل متزايد.

خلال الأيام الأولى من حرب الولايات المتحدة وإسرائيل وإيران ركزت الإحاطات العسكرية الكويتية على اعتراض الصواريخ والطائرات المسيّرة الإيرانية، مع إغفالها لمواقع الضربات أو حجم الأضرار. يعكس هذا النهج معضلة مألوفة في زمن الحرب، حيث يتعين على الحكومات طمأنة السكان مع الحد من المعلومات التي قد تفيد الخصوم أو تزيد من حالة عدم اليقين. إلا أن رد الكويت كشف عن تحول أوسع نطاقًا في منطقة الخليج؛ لم تعد المعلومات مجرد أداة للتواصل، بل أصبحت جزءًا لا يتجزأ من ساحة المعركة.

> **الحرب الإيرانية أظهرت كيف تُخاض الصراعات الحديثة في آنٍ واحد على ساحات المعارك المادية والمعلوماتية**

وقد سرّع هذا الصراع تحولًا أقل وضوحًا، ولكنه لا يقل أهمية، في إدارة الأمن الإقليمي. إذ باتت دول الخليج تتعامل بشكل متزايد مع تدفقات المعلومات والمنصات الرقمية والخطابات العامة كمجالات إستراتيجية تتطلب الحماية والسيطرة.

ويُجسد التواصل الكويتي خلال الحرب كيف تتكيف الحكومات مع هذه البيئة المعلوماتية الجديدة. فقد ركزت الإحاطات الرسمية على إحصاءات الاعتراض مع الحد من الكشف عن مواقع الضربات وتقييمات الأضرار، مما يعكس جهدًا لطمأنة الجمهور دون الكشف عن نقاط الضعف أو تضخيم روايات الخصم. وتكمن أهمية ذلك في كيفية تشكيل الدول بشكل متزايد للظروف التي يعيش فيها المواطنون الصراع.

وامتد هذا التنافس نفسه على التصورات إلى ما هو أبعد من الجماهير المحلية ليشمل المواجهة الأميركية – الإيرانية الأوسع نطاقًا. خاضت الولايات المتحدة وإيران معركة متوازية حول التصورات والشرعية والتفسير العام، مستخدمتين الاستفزاز الرقمي والتضخيم والتلاعب بالسرد كأدوات للسياسة الخارجية. وسعت واشنطن إلى إظهار فاعليتها العسكرية وهيمنتها العملياتية، بينما اعتمدت طهران على أدوات غير متكافئة لتصوير الصمود والمقاومة. واستحضر المسؤولون الإيرانيون معارك تاريخية فارسية وشيعية اتسمت بالتضحية والصمود، مؤطرين الصراع كجزء من كفاح أطول ضد العدوان الخارجي.

ولم يتعامل أي من الطرفين مع المعلومات بمعزل عن الإستراتيجية العسكرية، فأصبح السرد أداة أخرى للمنافسة.

ولا يمكن فصل تصاعد حرب المعلومات عن الصراع الهجين الأوسع بين واشنطن وطهران. فقد دمجت الولايات المتحدة القدرات السيبرانية في العمليات العسكرية التقليدية، مما يعكس تحولًا أوسع نحو دمج الأدوات الرقمية مع القوة العسكرية. في المقابل طورت إيران هيكلية استجابة غير متكافئة خاصة بها، تجمع بين العمليات السيبرانية وحملات التأثير والرسائل المنسقة وشبكات الجهات الفاعلة المتحالفة لفرض تكاليف وخلق حالة من عدم اليقين.

وبالنسبة إلى الدول الواقعة بين واشنطن وطهران، جغرافيًا وسياسيًا، باتت البيئة المعلوماتية نفسها مصدر ضعف محتمل.

تطمس هذه الأنشطة الحدود الفاصلة بين ساحة المعركة والفضاء المعلوماتي. وتتزايد عمليات الأمن السيبراني، وحملات التضليل، والتنافس على الروايات، الناجمة عن المواجهة الأميركية – الإيرانية، لتنتشر في مجتمعات الخليج.

وقد زادت وسائل التواصل الاجتماعي من تعقيد هذا الوضع. إذ انتشرت لقطات مُعاد تدويرها من نزاعات سابقة، ومقاطع من ألعاب محاكاة عسكرية، وصور مُولّدة بالذكاء الاصطناعي، جنبًا إلى جنب مع التقارير الموثوقة. وتصاعدت المعلومات المُضلّلة المُولّدة بالذكاء الاصطناعي، حيث استخدمت شبكات مرتبطة بإيران وسائط مُصنّعة، وتقنية التزييف العميق، ولقطات مُعاد تدويرها لتضخيم مزاعم النجاحات في زمن الحرب، بينما شنت إيران حملات على وسائل التواصل الاجتماعي ضد الولايات المتحدة لتشكيل الروايات في الخارج. وفي كثير من الحالات وصل المحتوى المُضلل إلى الجمهور قبل أن يتمكن الصحفيون أو المسؤولون من التحقق منه، مما جعل حالة عدم اليقين جزءًا من الصراع نفسه. على سبيل المثال، وثّقت منظمات رصد الإعلام الخليجية القيود المفروضة في زمن الحرب على نشر الصور والشائعات غير الموثقة، بما في ذلك توجيهات سعودية تحظر تداول مقاطع الفيديو من مصادر مجهولة.

لذلك كان التحدي ذا شقين: منع الخصوم من الوصول إلى المعلومات الحساسة، والحدّ من قدرة الروايات الكاذبة على التأثير في الرأي العام قبل أن تتضح الحقائق. وهذا لا يقتصر على كونه مشكلة إعلامية فحسب، بل هو سمة هيكلية للصراعات الحديثة. فقد أصبح تشتت المعلومات سمة مميزة للحروب المعاصرة، حيث تُخاض المعارك من خلال تفسيرات متضاربة بقدر ما تُخاض من خلال العمليات العسكرية نفسها.

وعزز التحدي المعلوماتي في زمن الحرب اتجاهًا إقليميًا أوسع نحو توسيع الآليات المحلية لتنظيم المعلومات.

في جميع أنحاء الخليج أدرجت الحكومات النشاط الرقمي ضمن أطر الأمن القومي. تشمل قوانين الجرائم الإلكترونية، وقوانين الأمن القومي، ولوائح الطوارئ الآن فئات واسعة مثل نشر المعلومات المضللة، والإضرار بالوحدة الوطنية، أو الإساءة إلى سمعة الدولة. تمنح هذه الأحكام السلطات سلطة تقديرية كبيرة بشأن ما يشكل تهديدًا أمنيًا، لاسيما في أوقات الأزمات.

وستُؤدي التكنولوجيا إلى تفاقم هذه الضغوط. وقد أبرزت الحرب الإيرانية كيف يُغيّر الذكاء الاصطناعي والقدرات السيبرانية بيئة المعلومات. بات من الممكن الآن إنتاج مقاطع الفيديو المصطنعة، والصور المفبركة لساحات المعارك، والدعاية المولدة بواسطة الذكاء الاصطناعي، بسرعة فائقة ونشرها على نطاق واسع، غالبًا قبل أن تتمكن الحكومات أو الصحفيون من التحقق من صحتها. خلال المرحلة الأولى من النزاع، انتشر المحتوى المفبرك أو المُتلاعب به بوتيرة أسرع من الردود الرسمية أو أنظمة التحقق من الحقائق، مما يُظهر مدى سرعة تفوق وسائل الإعلام المصطنعة على المؤسسات المسؤولة عن التحقق.

مثّل الخليج مثالاً مبكراً على اتجاه عالمي أوسع. فمع مواجهة الحكومات للصراعات التي تترافق فيها العمليات السيبرانية والذكاء الاصطناعي والتلاعب بالمعلومات مع التهديدات العسكرية التقليدية، من المرجح أن تظهر ضغوط مماثلة في أماكن أخرى.

ويتمثل التحدي الرئيسي للحكومات في تعزيز قدرتها على الصمود في وجه التهديدات الأمنية الحقيقية دون تضييق مساحة المعلومات المستقلة والنقاش السياسي بشكل دائم. وفي عصر أصبحت فيه المعلومات ساحة معركة، قد يوفر التحكم في الرواية استقرارا قصير الأجل. أما الأمن الدائم فسيعتمد على أمر أكثر صعوبة: ضمان استمرار ثقة المواطنين بالمعلومات التي يتلقونها.

لماذا لا يزال الشباب في أفريقيا يستمعون إلى الراديو؟

نيروبي - تواجه هيئة الاتصالات الكينية مشكلة قد تبدو غريبة في العصر الرقمي: ازدحام موجات الراديو في نيروبي. تمتلك كينيا أكثر من 250 محطة إذاعية إف.إم، بالإضافة إلى العديد من المحطات الطموحة. في المدن الكبرى كالعاصمة، يشكو الراغبون في أن يصبحوا نجومًا إذاعيين من عدم وجود مساحة كافية لترخيص المزيد.

تعكس هذه المشكلة استمرار الراديو بشكلٍ لافت في أفريقيا. فمع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية، قد يتوقع المرء أن تكون قد انتصرت في معركة جذب الانتباه. ومع ذلك، ووفقًا لاستطلاع رأي نشرته مؤسسة أفرو بارومیتر في أبريل، لا تزال هيمنة الأخبار الإذاعية على القارة قوية.

أُقيمت أبراج البث لأول مرة في جميع أنحاء أفريقيا خلال عشرينات القرن الماضي. واستخدمت الأنظمة الاستعمارية الراديو للدعاية. وأنشأت حركات التحرر محطات إذاعية سرية لتنظيم المقاومة. وفي ستينات القرن الماضي بدأت حكومات ما بعد الاستعمار بدعم أجهزة الراديو الترانزستورية، وبثت ترددات خاضعة لسيطرة الدولة إعلاناتٍ عن أحلام الحداثة الكبرى لبناة الأمة.

وأحيانًا استُخدمت هذه المحطات لأغراض أكثر خبثًا. ففي الفترة التي سبقت الإبادة الجماعية في رواندا عام 1994، أثارت محطةٌ تابعة للنظام الذي يقوده الهوتو الكراهية بوصفها التوتسي بـ"الصراصير". ومع ذلك، في الوقت نفسه تقريبًا، أجبر التحول الديمقراطي في جميع أنحاء القارة على تحرير سيطرة الدولة، فانتشرت المحطات التجارية.

وفي السنوات الأخيرة حشدت وسائل التواصل الاجتماعي الشباب الغاضبين الذين يحتجون على الحكومات من كينيا إلى مدغشقر. ومع ذلك، لا يزال حوالي 60 في المئة من سكان المدن والريف يستمعون إلى الأخبار عبر الراديو عدة مرات في الأسبوع، وفقًا لمقياس أفريقيا. حتى الشباب يفعلون ذلك. يقول نحو 55 في المئة من الأفارقة الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و35 عامًا إنهم يحصلون على أخبارهم بانتظام من الراديو، وهي نسبة تقل قليلًا عن نسبة 58 في المئة الذين يعتبرون وسائل التواصل الاجتماعي مصدرهم الرئيسي.

استمرار لافت

ما الذي يفسر هذا الإقبال المستمر؟ الراديو وسيلة إعلامية منخفضة التكلفة وسهلة الوصول. تتوفر أجهزة راديو أف.إم حتى في أرخص الهواتف، ولا تتطلب بيانات جوال باهظة الثمن للاستماع إليها. ويتصل العديد من المستمعين بالبرامج أثناء ازدحام المرور في المدن الكبرى في أفريقيا.

> **لا يزال حوالي 60 في المئة من سكان المدن والريف يستمعون إلى الأخبار عبر الراديو عدة مرات في الأسبوع**

وبدلًا من أن تضر شبكة الإنترنت بالراديو قد تُسهم في دعم نجومه. فقد أصبح مذيعون مشهورون من مشاهير وسائل التواصل الاجتماعي. يتباهى أحدهم في كينيا بأنه يجني الآن معظم دخله عبر الإنترنت من الإعلانات التجارية بعد أن اكتسب شهرة واسعة في الراديو. كما تستغل كينيا الإنترنت لحل مشكلة نقص الترددات لديها. فعلى غرار غانا والسنغال، تُجري كينيا تجربة على راديو دي.أي.بي، الذي يضغط موجات الراديو إلى بيانات رقمية من أجل إتاحة المجال للمزيد من المحطات.

سحب أوامر استدعاء صحفيين أميركيين نشروا تغطية حول طائرة ترامب

نيويورك - قال ممثل للادعاء خلال جلسة محكمة إن وزارة العدل الأميركية ستسحب أوامر استدعاء صحفيين في نيويورك تايمز نشروا تغطية عن مخاوف أمنية تتعلق بسفر الرئيس دونالد ترامب على متن طائرة الرئاسة المهداة من قطر.

وتعد أوامر الاستدعاء، التي أصدرها جاي كلايتون المدعي العام في مانهاتن يوم 10 يوليو، أحدث مثال على مساعي إدارة ترامب لإجبار الصحفيين على الكشف عن مصادرهم في تحقيقات صحفية تستند إلى تسريبات، وهي ممارسة يقول المدافعون عن حرية الصحافة إنها قد تؤدي إلى ترهيب الصحفيين وقمع العمل الصحفي.

وأبلغ مدع عام من مكتب كلايتون قاضي المحكمة الجزئية أرون سوبرامانيان بالقرار بعد أن أمضى القاضي حوالي ساعة ونصف الساعة في استجواب محامي الحكومة بشأن المسائل الإجرائية في التحقيق في التسريبات، بما في ذلك تعاملهم مع المذكرات المتعلقة بالاطلاع على سجلات هواتف الصحفيين.

وقال المدعي العام شون باكلي "الحكومة مستعدة لسحب أوامر الاستدعاء من جانب واحد"، مشيرا إلى أن التحقيق لا يزال جاريا وأن الحكومة قد تستدعي الصحفيين مرة أخرى.

كان كلايتون، المرشح الذي اختاره ترامب ليكون مدير المخابرات الوطنية الأميركية المقبل، قد أصدر أوامر الاستدعاء بعدما أفادت نيويورك تايمز بأن ترامب غادر تركيا على متن طائرة الرئاسة القديمة لأن الطائرة الجديدة المهداة من قطر تفتقر إلى أنظمة مضادة للصواريخ وغيرها من الخصائص الدفاعية.

وقالت الحكومة إن تغطية الصحيفة تشكل "مخاوف جسيمة على الأمن القومي" بشأن تسريب معلومات سرية تتعلق بالدفاع الوطني حينما كان الرئيس يحلق في الجو وسط أعمال قتالية مع خصم أجنبي يريد إلحاق الضرر به، في إشارة واضحة إلى إيران.

واستندت التقارير إلى مصادر لم تكشف عن أسمائها، وتزامنت مع انهيار وقف إطلاق النار في الحرب الأميركية – الإسرائيلية على إيران. كانت الصحيفة طلبت من سوبرامانيان رفض أوامر الاستدعاء بحجة أنها صدرت على نحو غير سليم وتنتهك الحماية التي يكفلها التعديل الأول للدستور الأميركي لحرية الصحافة.

وقالت الصحيفة في مذكرة للمحكمة إن الهدف من أوامر الاستدعاء هو مضايقة الصحفيين وترهيبهم. واتهمت كذلك الادعاء العام بانتهاك السياسات الداخلية المتعلقة باستخدام أوامر الاستدعاء ضد الصحفيين، وهو إجراء يفترض أن يكون نادرا ويتطلب موافقة من أعلى مستوى.

العرب
السبت 2026/07/25
السنة 49 العدد 13870

اختبار الحرب يوحد الخليج: عودة الانسجام السعودي - الإماراتي

العمود الفقري لموقف خليجي موحد

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

لم تكن الحرب مع إيران مجرد مواجهة عسكرية أعادت رسم خرائط الردع في المنطقة، بل تحولت إلى اختبار سياسي أعاد ترتيب الأولويات داخل مجلس التعاون الخليجي. ففي لحظة تصاعدت فيها التهديدات المشتركة، تراجعت الخلافات البينية إلى الخلف، بينما عاد الانسجام السعودي – الإماراتي ليبرز بوصفه الركيزة الأساسية لإعادة بناء موقف خليجي أكثر تماسكا، يقوم على أن الأمن القومي الخليجي لا يقبل التجزئة، وأن تحديات ما بعد الحرب تستدعي شراكة أوثق لا تقل أهمية عن الشراكة العسكرية.

لم تكن الحرب الأخيرة مع إيران مجرد اختبار للقدرات العسكرية أو لأنظمة الدفاع الجوي الخليجية، بل كانت اختبارا سياسيا لمنظومة مجلس التعاون الخليجي بأكملها. فمنذ الأيام الأولى للمواجهة، بدا واضحا أن طهران لا تراهن فقط على الصواريخ والطائرات المسيّرة، بل أيضا على إحداث شروخ سياسية داخل البيت الخليجي، عبر توزيع التهديدات بصورة انتقائية، واستهداف بعض الدول دون غيرها في مراحل معينة، في محاولة للإيحاء بأن لديها "أصدقاء" داخل المجلس، أو بأن بعض العواصم يمكن تحييدها إذا ابتعدت عن الموقف الجماعي.

لكن ما كشفته الحرب هو العكس تماما. فقد سقطت واحدة من أكثر أدوات السياسة الإيرانية فاعلية في إدارة نفوذها الإقليمي، وهي إستراتيجية "فرّق تسد". وما بدا خلال سنوات من اختلافات خليجية حول ملفات إقليمية متعددة، تحول مع أول تهديد مباشر للأمن الخليجي إلى خلافات ثانوية أمام حقيقة أكثر رسوخا، وهي أن أمن الخليج أصبح وحدة إستراتيجية لا يمكن تجزئتها.

قد تختلف دول الخليج في تقدير بعض الملفات الإقليمية أو في ترتيب أولوياتها السياسية، لكنها لا تختلف عندما يتعلق الأمر بالأمن القومي الخليجي، وأمن الممرات البحرية، وحماية الاقتصاد الإقليمي.

في مرحلة من الحرب، بدا أن إيران تتعمد عدم استهداف السعودية بصورة مباشرة، بينما ركزت على ضربات طالت البحرين والكويت، في محاولة لإيصال رسالة سياسية مفادها أن الرياض ليست مستهدفة، وأن بإمكانها النأي بنفسها عن المواجهة. وكان ذلك جزءا من خطاب إيراني حاول استثمار ما بدا من تباينات خليجية في بعض ملفات الإقليم.

غير أن الرد السعودي جاء مخالفا تماما لما كانت تراهن عليه طهران. فقد أدانت الرياض استهداف البحرين والكويت بوضوح، وأكدت أن الاعتداء على أي دولة خليجية هو اعتداء على الأمن الخليجي بأكمله، رافضة الوقوع في فخ المقاربة الثنائية التي حاولت إيران فرضها.

ومن هنا يمكن فهم التصعيد الحوثي المتكرر ضد المصالح السعودية في البحر الأحمر، فهو ليس مجرد امتداد للحرب اليمنية، وإنما محاولة إيرانية لضرب البدائل الإستراتيجية التي بنتها دول الخليج لتقليل الاعتماد على مضيق هرمز.

ولذلك اتجهت طهران إلى تهديد المصالح السعودية في البحر الأحمر، وفي مقدمتها ميناء ينبع، بعد أن أخفقت في استدراج الرياض إلى مقاربة منفردة للحرب أو شق الصف الخليجي من بوابتها.

وكشفت الحرب أن الخلافات الخليجية خلال السنوات الماضية كانت خلافات في إدارة الملفات، وليست خلافات حول تعريف التهديدات.

فالرياض وأبوظبي، على سبيل المثال، اختلفتا في بعض مقاربات أزمات المنطقة، سواء في اليمن أو في بعض ملفات القرن الأفريقي أو في طبيعة العلاقات مع بعض القوى الإقليمية. لكن تلك الاختلافات بقيت ضمن إطار واضح تحكمه المصالح المشتركة، ولم تتحول يوما إلى صراع على الهوية الإستراتيجية للتحالف.

ولهذا لم يكن مستغربا أن يعود التحالف السعودي – الإماراتي إلى الواجهة بسرعة مع اندلاع الحرب، باعتباره العمود الفقري لأي موقف خليجي موحد.

ولم يكن هذا التحالف في جوهره تحالفا ظرفيا، بل يمثل، منذ مرحلة ما بعد الربيع العربي، شراكة سياسية وفكرية وأمنية أسهمت في رسم كثير من سياسات المنطقة. وما جرى خلال الحرب أعاد التأكيد على أن البرود الذي ظهر أحيانا في العلاقات لم يكن سوى اختلاف في التكتيكات، لا في الرؤية العامة.

ولعل اللافت أن مظاهر التقارب لم تقتصر على وضوح المواقف السياسية، وإنما امتدت إلى المجال الإعلامي، وهو ما يحمل دلالات لا تقل أهمية عن المواقف الرسمية.

فالتصريحات المتزامنة لوزير الإعلام السعودي سلمان الدوسري ورئيس الهيئة الوطنية للإعلام في الإمارات عبدالله آل حامد لم تكن مجرد رسائل بروتوكولية عن متانة العلاقات الثنائية، وإنما جاءت في توقيت شديد الحساسية، حاملة دعوة واضحة إلى وقف حملات التأجيج الإعلامي، والتصدي لمحاولات التشكيك في صلابة العلاقة بين البلدين.

كما أن تفاعل شخصيات مؤثرة، مثل رئيس الهيئة العامة للترفيه تركي آل الشيخ والمستشار الدبلوماسي لرئيس دولة الإمارات أنور قرقاش، مع رسائل تؤكد عمق الشراكة بين البلدين، يعكس إدراكا متزايدا بأن المعركة الإعلامية أصبحت جزءا لا يتجزأ من معادلة الأمن القومي.

ذلك أن الحروب الحديثة لا تُخاض بالصواريخ وحدها، بل تُخاض أيضا عبر السرديات. ومن الواضح أن الخليج يتجه اليوم إلى بناء سردية سياسية وإعلامية موحدة تقدم المنطقة باعتبارها ضحية مباشرة للسياسات الإيرانية، وليس طرفا مشاركا في التصعيد.

وتقوم هذه السردية على عدة مرتكزات؛ أولها أن الهجمات الإيرانية على دول الخليج تفتقر إلى أي شرعية سياسية أو قانونية أو أخلاقية، وثانيها أن أمن الخليج يمثل ركنا أساسيا في استقرار الاقتصاد العالمي، وثالثها أن أي تسوية مستقبلية مع إيران لن تكون قابلة للحياة إذا تجاهلت المصالح الأمنية لدول مجلس التعاون.

ولا تبدو هذه السردية مجرد خطاب إعلامي، بل جزءا من معركة دبلوماسية أوسع تهدف إلى تثبيت موقع الخليج باعتباره شريكا لا يمكن تجاوزه في أي ترتيبات إقليمية لما بعد الحرب.

ويمتلك الخليجيون في هذا المجال أدوات مؤثرة. فالإعلام الخليجي، سواء التقليدي أو الرقمي، أصبح من أكثر المنصات تأثيرا في المنطقة، كما أن الحضور الدولي للمؤسسات الإعلامية الخليجية يمنحها قدرة على تشكيل الرأي العام وصياغة الرواية الإقليمية.

ومن هنا تأتي أهمية الدعوات السعودية والإماراتية إلى إعلام "رصين" يتجاوز حالة الاستقطاب التي شهدتها منصات التواصل الاجتماعي خلال السنوات الماضية، ويعيد الاعتبار لفكرة أن المنافسة الطبيعية بين الدول الخليجية يجب ألا تتحول إلى مادة تستغلها القوى الإقليمية المناوئة.

ولعل هذا هو التحول الأهم الذي أفرزته الحرب؛ إذ لم تعد الوحدة الخليجية تُبنى فقط عبر الاتفاقيات الأمنية أو المناورات العسكرية، بل أيضا عبر بناء خطاب سياسي وإعلامي مشترك يحصن المجتمعات الخليجية من محاولات الاختراق.

ومن الطبيعي أن ينعكس هذا المناخ الجديد على ملفات إقليمية أخرى، وفي مقدمتها اليمن، حيث قد يؤدي تجدد الانسجام السعودي – الإماراتي إلى تنسيق أكبر في إدارة المرحلة المقبلة، سواء في مواجهة التهديد الحوثي أو في صياغة تسوية سياسية أكثر تماسكا.

وقد طرحنا في مقال سابق سؤالا محوريا: هل سيدفع اتساع الخطر الحوثي – الإيراني العواصم الخليجية إلى إعادة بناء مقاربة موحدة للملف اليمني بعد سنوات من تباين الأولويات واختلاف الرؤى؟

وانطلقنا من أن المطلوب ليس إزالة كل التباينات بين العواصم الخليجية، بل الاتفاق على أولوية إستراتيجية تتمثل في منع تحول اليمن إلى قاعدة دائمة للمشروع الإيراني. أما ما عدا ذلك من اختلافات في الرؤى أو في العلاقات مع القوى اليمنية المختلفة، فيمكن أن يبقى ضمن الأطر السياسية القابلة للإدارة، من دون أن يتحول إلى عنصر يضعف الموقف الخليجي المشترك.

وتبدأ هذه المقاربة بإعادة إحياء التحالف العربي، ولكن بصيغة أكثر تماسكا ووضوحا، يكون هدفها استعادة الدولة اليمنية، لا إدارة توازنات داخلية بين القوى المتنافسة.

لقد أثبتت الحرب أن إيران، رغم نجاحها في رفع مستوى التوتر العسكري، لم تنجح في تحقيق أحد أهم أهدافها السياسية، وهو تفكيك الموقف الخليجي. بل إن نتائجها جاءت معاكسة تماما؛ إذ دفعت دول الخليج إلى إعادة اكتشاف قيمة التضامن، وإلى التعامل مع الأمن الجماعي باعتباره خط الدفاع الأول عن استقرار المنطقة.

وإذا كانت الصواريخ قد اختبرت منظومات الدفاع الجوي، فإن السياسة الإيرانية اختبرت تماسك مجلس التعاون. وفي الحالتين جاءت النتيجة واحدة؛ إذ خرج الخليج من الحرب أكثر اقتناعا بأن خلافاته قابلة للإدارة، أما وحدته فهي ضرورة إستراتيجية لا تحتمل المساومة. وربما يكون هذا هو الإرث السياسي الأهم للحرب: انتقال مجلس التعاون من إدارة الخلافات إلى إدارة التهديدات المشتركة، باعتبارها الأساس الذي ستُبنى عليه توازنات الخليج في مرحلة ما بعد الحرب.

شركاء الأزمات: عندما تصبح الفوضى مصلحة مشتركة

صلاح الهوني
إعلامي ليبي

ليست كل الحروب تنتهي عندما يتوقف إطلاق النار، وليست كل الأزمات تستمر لأنها استعصت على الحل. فبعض الأزمات، بعد سنوات من اندلاعها، تكف عن أن تكون مجرد صراع بين طرفين، وتتحول إلى نظام قائم بذاته، له اقتصاد، وله مؤسسات، وله مستفيدون، بل وله شركاء لا يربطهم مشروع سياسي واحد، لكنهم يجتمعون على حقيقة واحدة: أن السلام سيضر بمصالحهم أكثر مما تنفعهم الحرب.

لهذا ربما لم يعد السؤال الأكثر أهمية في ليبيا هو: من بدأ الأزمة؟ بل: من يستفيد من استمرارها؟

إنها زاوية مختلفة لفهم السياسة، لأن كثيرًا من التحليلات التقليدية تنظر إلى الأزمات باعتبارها نتيجة خلافات سياسية أو صراعات أيديولوجية أو تنافس جيوسياسي، بينما تتجاهل أن هذه الأزمات، مع مرور الزمن، تنتج طبقة كاملة من المستفيدين الذين تتحول حياتهم ونفوذهم وثرواتهم إلى رهينة لاستمرار الفوضى.

يمكن تسمية هؤلاء بـ"شركاء الأزمات".

إذا كانت الأزمات في الأدبيات السياسية تُعرَّف عادة بأنها لحظات استثنائية تعطل عمل الدولة وتدفعها إلى البحث عن حلول عاجلة، فإن التجربة الليبية تكشف مسارًا مختلفًا وأكثر تعقيدًا. فمنذ عام 2011 لم تعد الأزمة مجرد مرحلة انتقالية تنتظر نهايتها، بل تحولت تدريجيًا إلى نظام سياسي واقتصادي واجتماعي قائم بذاته، تتكيف معه المؤسسات، وتعيد القوى المحلية والإقليمية والدولية ترتيب مصالحها على أساس استمراره لا إنهائه. ومن هنا تبرز الفكرة الأكثر خطورة: لم تعد ليبيا تعاني من أزمة فقط، بل من شبكة واسعة من "شركاء الأزمة" الذين تختلف أجنداتهم، لكنهم يتفقون عمليًا على أن استمرار الوضع الراهن أكثر فائدة لهم من الوصول إلى تسوية نهائية.

وجود حكومات متنافسة ومؤسسات منقسمة ومراكز قرار متعددة لا يمثل فقط مشكلة إدارية بل يخلق بيئة تسمح بإعادة توزيع النفوذ والموارد بصورة مستمرة

هذا لا يعني بالضرورة وجود مؤامرة واحدة أو غرفة عمليات تدير المشهد، بل يعني أن الأزمة نفسها أصبحت تنتج مصالح متشابكة تجعل إنهاءها مكلفًا بالنسبة إلى كثير من اللاعبين. فكلما طال أمد الانقسام ظهرت مراكز قوة جديدة وتشكلت شبكات اقتصادية موازية ورسخت نخب سياسية وأمنية وجودها باعتبارها المستفيد الأول من غياب الدولة الموحدة.

لقد شهدت ليبيا خلال أكثر من عقد محاولات متكررة لتوحيد المؤسسات وإطلاق مسارات سياسية، من اتفاق الصخيرات إلى ملتقى الحوار السياسي، ومن مؤتمر برلين إلى المبادرات الأممية المتعاقبة، إلا أن معظم هذه المبادرات اصطدم بالحقيقة نفسها: هناك أطراف ترى في الحل نهاية لمكاسب راكمتها خلال سنوات الفوضى. ولهذا كثيرًا ما كانت الاتفاقات تُوقّع في العلن، بينما يجري تعطيل تنفيذها على الأرض بالخفاء.

في قلب هذه المعادلة يقف الانقسام السياسي باعتباره المورد الأكثر ربحًا لبعض القوى. فوجود حكومات متنافسة، ومؤسسات منقسمة، ومراكز قرار متعددة، لا يمثل فقط مشكلة إدارية، بل يخلق بيئة تسمح بإعادة توزيع النفوذ والموارد بصورة مستمرة. وكل سلطة مؤقتة تجد في استمرار المرحلة الانتقالية فرصة لإطالة بقائها، لأن إنهاء المرحلة يعني بالضرورة إعادة توزيع السلطة عبر انتخابات أو مؤسسات شرعية جديدة قد لا تضمن استمرارها.

ومن هنا يصبح مفهوم "الشرعية المؤقتة" أحد أهم منتجات الأزمة الليبية. فبدل أن تكون المؤسسات الانتقالية جسرًا نحو الدولة، تحولت في كثير من الأحيان إلى غاية بحد ذاتها، تدافع عن استمرار وجودها أكثر مما تدافع عن استكمال مهمتها الأصلية. وهكذا تصبح الأزمة مصدرًا للشرعية، لا سببًا لإنهائها.

لكن الشركاء لا يقتصرون على الفاعلين السياسيين. فالفراغ الأمني الذي رافق الانقسام أوجد اقتصادًا كاملًا خارج مؤسسات الدولة. فشبكات تهريب الوقود، والاتجار بالبشر، وتهريب السلع، والاقتصاد النقدي الموازي، كلها أنشطة لا تزدهر إلا عندما تضعف الدولة وتغيب الرقابة. ولذلك فإن استعادة مؤسسات الدولة لسلطتها تعني بالنسبة إلى هذه الشبكات نهاية نموذج اقتصادي حقق لها أرباحًا هائلة طوال سنوات الفوضى.

إن الاقتصاد الموازي في ليبيا لم يعد مجرد نشاط هامشي، بل أصبح أحد أكبر المستفيدين من استمرار الانقسام. فكل منفذ حدودي خارج السيطرة الكاملة للدولة، وكل طريق صحراوي مفتوح، وكل مؤسسة رقابية ضعيفة، يمثل فرصة جديدة لتحقيق أرباح لا يمكن تحقيقها في ظل دولة قوية تطبق القانون. ولذلك فإن مكافحة هذه الظواهر ليست مجرد قضية أمنية، بل هي أيضًا معركة مع مصالح اقتصادية ضخمة تشكلت خلال سنوات الأزمة.

ولا يمكن فهم المشهد الليبي دون النظر إلى البعد الخارجي. فليبيا تقع في موقع جغرافي يجعلها جزءًا من معادلات أمن البحر المتوسط، والهجرة غير النظامية، وأسواق الطاقة، والتنافس الدولي على النفوذ في شمال أفريقيا. ولهذا لم تعد الأزمة الليبية شأنًا داخليًا فحسب، بل أصبحت ساحة تتقاطع فيها حسابات إقليمية ودولية معقدة.

فبعض القوى الخارجية تنظر إلى ليبيا باعتبارها ورقة تفاوض في ملفات أكبر، بينما ترى فيها قوى أخرى مجالًا لتعزيز نفوذها الاقتصادي أو الأمني أو العسكري. وقد تختلف هذه الأطراف في رؤيتها للحل، لكنها تتفق ضمنيًا على حماية مصالحها أولًا، حتى وإن جاء ذلك على حساب سرعة الوصول إلى تسوية وطنية شاملة.

مفهوم «الشرعية المؤقتة» أحد أهم منتجات الأزمة الليبية، فبدل أن تكون المؤسسات جسرًا نحو الدولة تحولت في كثير من الأحيان إلى غاية بحد ذاتها

ولهذا السبب، كثيرًا ما بدا أن المبادرات الدولية تتحرك بإيقاع أبطأ من تطورات الميدان، وأن لغة البيانات السياسية لا تنعكس دائمًا في ممارسات الفاعلين الإقليميين. فكل قوة تتحدث عن الاستقرار، لكنها تفسر الاستقرار وفق مصالحها الخاصة، لا وفق ما يحتاجه الليبيون.

وما يزيد الصورة تعقيدًا أن استمرار الأزمة خلق جيلًا كاملًا لم يعرف دولة مستقرة بالمعنى التقليدي. فالشباب الذين ولدوا أو نشأوا خلال سنوات الانقسام أصبحوا يتعاملون مع الحكومات المتعددة، والانقطاعات المتكررة للخدمات، والأزمات الاقتصادية، بوصفها جزءًا من الحياة اليومية، لا استثناءً مؤقتًا. وهذه إحدى أخطر نتائج الأزمات الطويلة؛ إذ لا تقتصر آثارها على السياسة، بل تمتد إلى الثقافة العامة، وإلى علاقة المواطن بالدولة، وإلى مستوى توقعاته من المستقبل.

إن ليبيا اليوم تقدم نموذجًا واضحًا لفكرة أن الأزمة قد تتحول إلى صناعة قائمة بذاتها، وأن أخطر ما في الأزمات الطويلة ليس استمرارها فقط، بل قدرتها على إنتاج مستفيدين جدد يدافعون عنها بصورة مباشرة أو غير مباشرة. ولهذا فإن السؤال الحقيقي لم يعد: لماذا تأخر الحل؟ بل أصبح: كيف يمكن تفكيك شبكة المصالح التي جعلت استمرار الأزمة أكثر ربحًا من إنهائها؟

وهنا تكمن المعضلة الأساسية. فإعادة بناء الدولة لا تبدأ فقط بكتابة اتفاق سياسي جديد، بل تبدأ بتقليص العوائد السياسية والاقتصادية التي يجنيها شركاء الأزمة من استمرار الانقسام. فكلما أصبحت كلفة السلام أقل من أرباح الفوضى، اقتربت ليبيا من الاستقرار الحقيقي. أما إذا بقيت الأزمة مصدرًا للنفوذ والثروة والشرعية المؤقتة، فإن كل مبادرة جديدة ستواجه المصير نفسه: توقيع على الورق، وتعثر في الميدان، وأزمة تتجدد بأسماء مختلفة بينما تبقى بنيتها العميقة على حالها.

الأزمة: اقتصاد قائم بذات

هل يدفع صعود اليمين الأوروبي إلى هجرة عكسية نحو تونس؟

أسامة رمضاني
رئيس تحرير
العرب ويكلي

مع تواتر المؤشرات على صعود اليمين في أوروبا، وخاصة في فرنسا حيث تتوقع الاستطلاعات فوز مارين لوبان زعيمة أقصى اليمين بسباق الرئاسة السنة القادمة، يتساءل البعض عما إذا كان ذلك سيدفع مغتربي شمال أفريقيا، ومنهم التونسيون، نحو هجرة عكسية تعود بهم إلى بلدانهم الأصلية.

مثل هذه التساؤلات دفعت مصالح الهجرة الفرنسية بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي العام الماضي إلى إعداد دراسة مفصلة حول الهجرة العكسية للمغتربين التونسيين من فرنسا ودواعيها. ومن البديهي أن باريس وبروكسيل ما كانتا لتهتما بالموضوع لولا انعكاساته الإستراتيجية المحتملة على مصالحهما.

استنتجت الدراسة أساسا أن هناك عدة أسباب قد تدفع أقلية من المهاجرين إلى التفكير في العودة إلى تونس ولكن الأغلبية المستقرة في فرنسا لا تبدو مهتمة بالعودة .

تتطابق نتيجة الدراسة مع الأرقام الصادرة في تونس نفسها والتي لا توحي بوجود توجه قوي نحو الهجرة العكسية.

> البراغماتية هي الصفة الأساسية التي تميز سياسات الهجرة من الجانبين التونسي والفرنسي لكن التطورات السياسية تفتح الباب على احتمالات قد تقفز على هذه البراغماتية

ما زالت موجات المهاجرين التونسيين تعزز صفوف المغتربين. يبلغ عدد هؤلاء حاليا 1.8 مليون أي تقريبا 15 في المئة من التونسيين.

ولا تبدو هذه الموجات مؤهلة للتوقف. ويؤكد الاستطلاع الأخير للبارومتر العربي أن ما لا يقل عن 67 في المئة من الشباب التونسي دون سن الثلاثين يرغبون في الهجرة إلى الخارج يدفعهم إلى ذلك عموما الوازع الاقتصادي.

كما تقول المعطيات الرسمية إن أعداد التونسيين في المهجر تزداد سنويا بنسبة 3.7 في المئة، في الوقت الذي لا يتجاوز فيه عدد العائدين من الخارج سنويا 4 آلاف تونسي، وذلك حسب الأرقام المتعلقة بالفترة من 2019 إلى 2024.

وأظهر استطلاع للرأي أجرته منذ أشهر مؤسسة إمرود كونسيلتينغ المختصة أن ما يقارب 60 في المئة من المغتربين يرفضون فكرة العودة إلى تونس. كما جاء في استطلاع آخر قبل ذلك أن حوالي 4 في المئة فقط من المهاجرين التونسيين يفكرون في العودة.

قد يتغير مزاج المهاجرين بعد انتخابات 2027 إذا مهد الاقتراع الرئاسي الطريق أمام مارين لوبان كي تنفذ برامجها الرامية إلى التضييق على المهاجرين وخاصة منهم أفراد الأقليات العربية والمسلمة.

ولكن من المحتمل أن يبقى تأثير هذه التضييقات –رغم كل المخاوف التي يثيرها– محدودا خاصة بالنسبة إلى المهاجرين من حاملي الجنسية الفرنسية أو الحاصلين على وثائق الإقامة الدائمة. فمعظم هؤلاء تحتاجهم فرنسا مثلما هم لا يرون مستقبلهم خارج المهجر.

بالإضافة إلى ذلك فإن الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي دفعت الكثير من هؤلاء للهجرة ما زالت قائمة. ولعل المصاعب التي واجهها التونسيون هذا الصيف نتيجة اضطراب التزود بالماء وانقطاع التيار الكهربائي في مناطق عدة من البلاد قد تركت انطباعا لدى الكثير من المغتربين الذين جاؤوا لقضاء إجازاتهم في تونس بأن الوقت لم يحن بعد للعودة النهائية إلى بلادهم.

قد يبحث البعض منهم عن حلول وسطى مثل بقاء عائل الأسرة الرئيسي في المهجر بحيث يحافظ على وظيفته وامتيازاته في بلد الإقامة إذا أراد الوالدان أن يدرس أبناؤهما في تونس، أو أن يبحث البعض عن صيغ للعمل عن بعد –ولو جزئيا دون العودة نهائيا إلى البلد الأم. وهذه الحلول الوسطى تعكس في حد ذاتها رغبة في مواصلة البقاء في المهجر مع محاولة التخفيف من الضغوط الأسرية والعاطفية التي قد تدفعهم نحو الهجرة المعاكسة.

وبالرغم من هجرة الآلاف من المهندسين والأطباء وغيرهم من أصحاب الكفاءات ليس هناك ما يشير في الوقت الحالي إلى أن التشجيع على عودة المهاجرين هو ضمن أولويات السلطات التونسية التي تواصل إطلاق برامج التدريب والتعليم للاستجابة للحاجيات الأوروبية في ميدان التشغيل، كما تواصل التعويل على تحويلات المغتربين التي تبلغ حوالي ثلاثة مليارات دولار سنويا لتعزيز رصيدها من العملة الصعبة التي تحتاجها البلاد لتمويل وارداتها وتسديد ديونها الخارجية.

بل إن أحد الوزراء التونسيين كان واضحا وصريحا في التعبير عن رغبة في استغلال النقص الذي تعاني منه عدة بلدان أوروبية في اختصاصات مهنية محددة من أجل إبرام اتفاقيات جديدة لتشغيل الكفاءات التونسية. أشار الوزير إلى أن السوق الأوروبية ستحتاج إلى نحو 10 ملايين مختص في ميدان تكنولوجيات المعلومات والاتصال بحلول سنة 2030، معتبرا ذلك "فرصة يمكن استثمارها عبر إعداد كفاءات تونسية قادرة على الاستجابة للطلب الخارجي".

تبقى البراغماتية هي الصفة الأساسية التي تميز سياسات الهجرة من الجانبين التونسي والفرنسي. ولكن التطورات السياسية التي قد تغير توجهات باريس، من جهة، والهواجس الأسرية والعاطفية التي تسكن قلوب المهاجرين التونسيين، من جهة أخرى، تفتح الباب على احتمالات قد تقفز على هذه البراغماتية.

هل يتغير مزاج المهاجرين بعد انتخابات 2027؟

معادلة الرئيس جوزيف عون في واشنطن: لبنان يستعيد القرار السيادي لإنهاء زمن الوصاية

البرّاق شادي عبدالسلام
كاتب وباحث مغربي

زيارة تدشن مسارا إستراتيجيًا جديدا في المنطقة

ضمن عملية جيوسياسية كبرى يقودها الرئيس العماد جوزيف عون لإعادة إحياء الدولة ومؤسساتها الدستورية وتدشين أعتاب الجمهورية الثالثة، جاء اللقاء التاريخي الذي جمعه بالرئيس الأميركي دونالد ترامب في البيت الأبيض بواشنطن ليضع نقطة النهاية لمرحلة لبنان كساحة خلفية للمحاور الإقليمية ويعلن تدشين مسار إستراتيجي جديد في المنطقة. الدبلوماسية الرئاسية الرفيعة في الزيارة الرسمية الأولى لرئيس لبناني منذ أكثر من عقد تتجاوز الترتيبات البروتوكولية الكلاسيكية، إذ تجسدت كمخرجات ملموسة تتطابق مع الرؤية الأميركية لإعادة تشكيل التوازنات في الشرق الأوسط وإنهاء التمدد الإيراني الذي أضر بالاستقرار لسنوات طويلة. وفي قلب هذا التحول الإستراتيجي تبرز محورية "اتفاق الإطار" الموقّع برعاية أميركية كقاعدة ارتكاز صلبة يبني عليها العماد جوزيف عون معادلة السيادة؛ إذ لم يعد هذا الاتفاق مجرد تفاهمات تقنية لوقف إطلاق النار، بل تحول برؤية بعبدا إلى وثيقة تنفيذية تفرض الانسحاب الإسرائيلي الشامل من الأراضي المحتلة مقابل الانتشار الفوري والحصري للجيش اللبناني. ومن بوابة هذا الاتفاق الإطاري، ينتقل لبنان من مرحلة إدارة الأزمات العسكرية إلى الهندسة الميدانية المستدامة للحدود، مستندًا إلى دعم واشنطن لتطبيقه بحذافيره عبر آليات دقيقة تلغي الترسانات الموازية وتكرس مرجعية الدولة القانونية على كامل ترابها الوطني. وفي هذا المشهد المتغير، يبرز الرئيس اللبناني بحس مؤسساتي نافذ لنقل بلاده من عقدة الملف الأمني الإقليمي المعقد إلى فضاء استثماري قادر على استيعاب مختلف الشراكات، مكرسًا إعادة القرار السيادي والدبلوماسي كاملًا إلى قصر بعبدا باعتباره الممثل الأسمى للإرادة الوطنية اللبنانية. وبذلك يستعيد لبنان دوره المحوري التاريخي في توازنات الشرق الأوسط، ليفرض بيروت لاعبًا أصيلًا في صنع القرار الإقليمي، وطرفًا موثوقًا يعيد تموضعه بثبات ضمن قطار الشراكات الاقتصادية والاستثمارية الكبرى في شرق المتوسط.

> الرسالة التي يريد عون أن يقرأها العالم هي أن المسار الدبلوماسي هو قرار سيادي ينبع من المصلحة الوطنية العليا لبيروت ولا يخضع لأية إملاءات خارجية

وفي هذا السياق يشكل الطرح الذي قاده رئيس الجمهورية اللبنانية في العاصمة الأميركية تحولًا واضحًا عن دبلوماسية الارتهان وسياسة المقاصات الإقليمية التي أثرت سلبًا على قرار بيروت، محققًا بذلك العبور الدستوري المنشود نحو دولة المؤسسات والحوكمة الرشيدة؛ ذلك أن لبنان اليوم يقف على مفترق طرق حقيقي يخيره بين استقلال جديد ومكتمل الأركان أو الاستمرار في ارتهان دائم لقوى وأذرع باتت هي نفسها ضعيفة ومأزومة. حيث تتجلى ملامح التحول التاريخي في التأكيد على أن زمن الوصاية والميليشيات المسلحة وسلطة المربعات الأمنية والدويلات داخل الدولة قد انتهى بلا رجعة، وأن لبنان ليس ساحة مشاع أو منصة إطلاق لرسائل الردع الجيوسياسي تسخرها القوى الإقليمية لأجنداتها الموازية. وفي هذا الإطار، الرسالة التي يريد عون أن يقرأها العالم هي أن المسار الدبلوماسي هو قرار سيادي ينبع من المصلحة الوطنية العليا لبيروت ولا يخضع لأية إملاءات خارجية، موضحًا أن قرار الحرب والسلم هو حصرية سيادية وحق حصري للدولة يملكه الشعب اللبناني ومؤسساته الدستورية وليس قرارًا يخرج من غرف العمليات في طهران أو دمشق، ليعيد بذلك وضع المؤسسات الشرعية في موقع القيادة والريادة. وبناء على ذلك يتجلى في الأفق الإقليمي واقع جديد مفاده أن لبنان سيد قراره، مما يفتح آفاقًا واسعة لربط تنفيذ الاتفاق الإطاري العسكري في جنوب لبنان مع متطلبات الانتعاش الاقتصادي الشامل وبناء دولة القانون كمرتكز لاستقطاب الاستثمارات الدولية.

ومن خلال تقديم مقترح لتفكيك السلاح غير الشرعي وحصر أدوات القوة بيد المؤسسات الرسمية، يبرز الحزم المؤسساتي للرئيس جوزيف عون في تبيان أن ذريعة سلاح حزب الله قد انتفت مع وجود المؤسسة العسكرية اللبنانية المكتملة الأركان والجاهزة لحماية الثغور والمكتسبات الوطنية. ويأتي النجاح الميداني الأخير، المتمثل في بدء التدشين الفعلي للمرحلة الأولى من خطة "المناطق التجريبية" عبر بسط الوحدات العسكرية لسيطرتها ومباشرتها المسح الهندسي والأمني في بلدات زوطر الغربية وفرون وصريفا جنوب نهر الليطاني، ليقدم برهانًا ساطعًا وملموسًا على قدرة المؤسسة العسكرية في ملء الفراغ الأمني وفرض معادلة السيادة المطلقة كبديل موضوعي متكامل للترسانات الموازية. وبهذا المنطق الصارم يسعى جوزيف عون إلى إنهاء سياسة ربط النزاع وإبعاد لبنان عن حروب الآخرين على أرضه التي استنزفت مقدرات الشعب اللبناني، مستفيدًا من التقاء هذه الخطوة مع المطالب التاريخية للقوى السياسية في بيروت، وعلى رأسها القوات اللبنانية وحزب الكتائب، مع إحراج الموقف الصامت أو المناور للتيار الوطني الحر، وتجاوز التشتت الراهن لدى قوى التغيير والكتل المستقلة. هذا التوافق السيادي العريض يعزز موقعه في تغيير نظرة إدارة ترامب تجاه بيروت لتراها حليفًا موثوقًا قادرًا على الوفاء بالتزاماته الدولية. وتأتي النقاشات حول فتح خط طيران مباشر بين الولايات المتحدة ولبنان وبحث حزم الدعم للبنى التحتية لتصادق على هذا التحول نحو الشراكة التنموية والاستثمارية كعنصر جذب إستراتيجي في شرق المتوسط.

وفي هذا الصدد، فإن هذا الانقسام الراديكالي في قراءة مفاعيل حراك الرئيس جوزيف عون في واشنطن يتجاوز التجاذب السياسي التقليدي، ليعكس اشتباكًا جيوسياسيًا مصيريًا تشترك فيه الخارطة الحزبية اللبنانية بكامل تلويناتها حول هوية الدولة وموقعها الإقليمي؛ فالهجوم العنيف الذي شنته جبهة "الممانعة" –بقيادة حزب الله وامتداداته الطائفية والعقائدية ممثلة في حركة أمل وتيار المردة والحزب السوري القومي الاجتماعي، وصولًا إلى المواقف المتذبذبة للتيار الوطني الحر– يعكس إدراكًا عميقًا ببدء تآكل إستراتيجية "وحدة الساحات" وتفكك أوراق الضغط الإقليمية لصالح منطق المؤسسات الشرعية. وفي المقابل يمثل الالتفاف الواسع للقوى السيادية والمعارضة –وعلى رأسها حزب القوات اللبنانية وحزب الكتائب وحركة الاستقلال وكتلة تجدد– محاولة تاريخية لقطع دابر الارتهان للأجندات الخارجية وتثبيت ركائز سيادة ناجزة عبر حصرية السلاح بيد الجيش. وبين هذين القطبين يتبدى التموضع البراغماتي للقوى الوسطية وكتل الاعتدال، كالحزب التقدمي الاشتراكي وتيار العزم ونواب الاعتدال الوطني، كمنصة ترقب حذر تراهن على الترتيبات الأمنية لحماية السلم الأهلي، في وقت تتطلع فيه قوى التغيير والمجتمع المدني، وممالئوها من القواعد الشعبية لتيار المستقبل، إلى فك ارتهان القرار الوطني. وبناء على ذلك، فإن ولادة مشروع الجمهورية اللبنانية الثالثة وتحقيق العبور الدستوري الفعلي لن يكونا رهنًا بالتوافقات الدبلوماسية في البيت الأبيض فحسب، بل بمدى قدرة هذه القوى مجتمعة على تحويل هذا الاستقطاب الحاد من مأزق بنيوي إلى قوة دفع وطنية تعيد لبيروت قرارها السيادي المستقل.

إلى جانب ذلك، يتكامل حراك الرئيس عون مع الديناميكية الجديدة التي تشهدها عواصم المنطقة؛ فالزمن الجيوسياسي تغير كليًا، والنظام الإيراني بات اليوم عاجزًا عن حماية نفسه أو تأمين عمقه الداخلي في ظل تحوله إلى أرض مستباحة للضربات الأميركية وإستراتيجيات الردع المباشر، ولم يعد يملك سوى أوراق إقليمية متناثرة يساوم بها عبر استغلال الشعوب ومصادر استقرار الدول في خدمة مشروع الولي الفقيه المتهالك. وفي هذا الإطار، تشير التطورات المتسارعة في دمشق وبغداد إلى اتجاه الإستراتيجية الأميركية نحو الحد من النفوذ الإقليمي غير الشرعي واستبداله بمنظومة دول قوية وقادرة على حماية حدودها وتأمين استقرارها الداخلي. وبناء عليه، فإن وجود قيادة ذات خلفية عسكرية صلبة وصارمة على رأس السلطة اللبنانية يمثل فرصة لإعادة دمج لبنان في بيئته العربية والدولية كعنصر توازن إقليمي والخروج من حالة الشغور والتعطيل المؤسساتي التي يفرضها الثنائي الشيعي عبر الثلث المعطل ورهن الاستحقاقات الدستورية.

ويرتبط هذا التوجه بمدى القدرة على تحويل الاستقرار الأمني إلى رافعة اقتصادية، خاصة أن حماية السيادة اللبنانية تتطلب اقتصادا قادرا على الصمود للخروج من الانهيار والمرافقات المأزومة، وهو ما يفسر تركيز المباحثات الرئاسية على تفعيل التعاون التجاري المشترك وجذب الرساميل المغتربة وتشجيع أبناء الانتشار اللبناني على الاستثمار، تحويلا للبنان إلى مركز لوجستي آمن في مرحلة إعادة الإعمار. وفي هذا الصدد تتقاطع هذه الرؤية مع الخيارات الإستراتيجية للمملكة المغربية التي طالما دعت إلى دعم سيادة الدول الوطنية، واحترام مؤسساتها الشرعية، وتعزيز الاستقرار الاقتصادي كركيزة أساسية للأمن الإقليمي والدولي.

ختاما، تبيّن القراءة الجيوسياسية الرصينة أن عهد الرئيس جوزيف عون يشكل الحد الفاصل بين زمن ارتهان القرار ومرحلة استعادة الهيبة الوطنية، ممهدا الطريق لنشوء الجمهورية الثالثة عبر عبور دستوري آمن يتجاوز إرث الصفقات والمحاصصات؛ ففي اللحظة التي تعيد فيها القوى العظمى رسم خرائط المنطقة وتثبيت موازين القوى، يرفع لبنان التحدي برفضه القاطع أن يستمر كصندوق بريد لتصفية الحسابات الإقليمية، أو خاصرة رخوة لتبادل الرسائل النارية وخوض حروب الآخرين على أرضه. وبناء على ذلك، لم تعد بيروت تتلقى الإملاءات أو تنتظر التسويات المعلبة وصفقات المحاصصة، بل أضحت تتفاوض في عواصم القرار الدولي من موقع الدولة السيدة، المستقلة بقرارها الوطني، والمتمسكة بالشرعية الدولية ومظلة القرارات الأممية (1559 و1701)، والمتحررة من قيد التعطيل السياسي لتسلك مسار التعافي كفاعل أصيل وشريك موثوق يمتلك أوراق القوة والاقتصاد والاستقرار في المنظومة الإقليمية الجديدة، مستندة بالكامل إلى الجيش اللبناني باعتباره حصن الوطن المنيع وطريق الخلاص والعمود الفقري لحماية السلم الأهلي وضامن استقرار المؤسسات الشرعية والدستورية.

> الخطاب اللبناني الجديد يشدد على أن الاستقرار ليس خيارًا ثانويًا بل أساس لبناء دولة القانون واستقطاب الاستثمارات بعيدًا عن الارتهان للأجندات الإقليمية

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
السبت 2026/07/25
السنة 49 العدد 13870

عزة طويل لـ«العرب»: الروايات ليست قاعات محاكم

«عيون بيروت» مغامرة سردية تستنطق الذاكرة والحب والمدينة بعيدًا عن الإدانة

ما زال السؤال عالقا حول علاقة الأدب بالالتزام بقضايا الإنسان من جهة وبحرية التفكير والتجريب الجمالي من جهة أخرى، أي بين وظيفته الإنسانية وتحرره الذي قد يبلغ مناطق أخرى من الذات البشرية. بين هذا وذاك نقرأ رواية الكاتبة اللبنانية عزة طويل "عيون بيروت" بتقنياتها الكتابية المتنوعة. "العرب" كان لها هذا الحوار مع الكاتبة حول روايتها الجديدة.

كه يلان محمد
كاتب عراقي

قد لا يعلنُ النصُ الروائي عن طبيعته والموضوع الذي ينتظمُ عليه خطه من الجملة الاستهلالية، بل من المتوقع ألّا ينجلي الغموض عن الأفق الذي يتحركُ النصُ نحوه من الافتتاحية، ولا يرمي بأوراقه من الأمتار الأولى غير أنَّ ذلك يجب ألا يؤجل كسر الجليد بين الرواية والمتلقي، لأنَّ نجاح العمل الروائي يكمنُ في سحب القارئ إلى أجوائه وإقناعه بأنَّ ما يتابعه يعدُ بمزيد من الاكتشاف والتضايف القصصي، وهذا المنحى هو ما تنهضُ عليه رواية "عيون بيروت" المرفقة بعبارة توضيحية "سر اللمعة في العينين" للكاتبة اللبنانية عزة طويل.

تتقاطع في فضاء هذا العمل، الصادر حديثاً، مصائر الشخصيات وتتشابك يوميات المدينة مع سيرة الراوية التي تريد سد ثغرات تركتها أزمنة لا تستعيدُ ملامحها بوضوح. تستمدُ "عيون بيروت" هويتها الإبداعية ليس من نوع الشخصيات أو من إدارة عقارب الزمن والتلميح إلى العود الأبدي من خلال تكرار الأحداث فحسب، بل مما تضمرهُ من الأسئلة عن الأدب والإنسان والحب الإشكالي واللايقين العاطفي، كل ذلك يضفي نبرة مختلفة على طبخة الرواية وبذلك تحافظ على التوتر الدرامي في بنيتها.

الرواية تقف على مسافة من سؤال الأخلاق: كيف يتجاور الإبداع مع المسؤولية، وكيف يؤثر أحدهما على الآخر

عن عملها الجديد وما تعني لها المغامرة على المستوى البنائي في تشكيلة النص كان لنا حوار مع عزة طويل التي صدرت لها قبل سنتين "لا شيء أسود بالكامل" التي سجلت من خلالها حضوراً لافتاً في الوسط الأدبي.

تعدد الأصوات

● العرب: هناك من يعتقدُ بأن ما يمنحُ المجالَ لكتابة الرواية هو المستوى البنائي للنص أما الثيمات والمواضيع فلا يمكن التعويل عليها لصياغة عملٍ إبداعي مقنع. إلى أي مدى كان يشغلك التكوين البنائي في كتابة "عيون بيروت"؟

■ الرواية ثيمة ومواضيع وبناء وشخصيات وحبكة ولغة وشكل، والعمل الإبداعي لا يعوّل سوى على الإبداع ووصوله إلى المتلقّي. من يريد أن يكتب رواية لا بد أن يشغله البناء كجزء لا يتجزأ من هذا الفن، فالرواية رحلةٌ على شجرة فاصوليا قد ترتفع إلى السماء، أو مشوار على درّاجة كما وصفها الراحل إسكندر حبش، وعلى الروائي أن يجيد صنع الدراجة لتشتغل كما يجب، وأن يصنع أيضا المَشاهد التي سيراها القارئ إبّان الرحلة، وهذان مستويان من البناء.

في "عيون بيروت" البناء ليس ترفًا بل حاجة فرضها النص، لأن التجارب فيه تتكرر، عاطفيًا وسياسيًا وتاريخيا، وكذلك الصدمات تُعاش مرارًا (كما هي طبيعة الصدمات)، ووجهات النظر تنعكس، والقارئ يرى القصة عبر عيني الراوية التي ترى قصتها من خلال قصة لمياء كمرآة. هذا التداخل يتطلّب معمارًا خاصًا به، لاسيما أن تقنية الميتاسرد تحضر في الرواية، وفيها كل طبقة تنعكس على الأخرى وتعيد تفسيرها بحيث لا ينفصل الحدث عن طريقة إنتاجه، ولا ينفصل محرّك السرد عن وسيلته/ الدرّاجة (الرواية وهي تُكتَب، الرواية وهي تُقرَأ، تأثير هذه القراءة في الحاضر، وفي الماضي أيضًا، إلخ).

● العرب: صوت الراوية المُتضمنة في بناء النص يهيمنُ على الخط السردي ومن عدستها يتابعُ المتلقي الأحداث وموقع الشخصيات، ألا يقود انفرادها بالمسرح إلى غياب التعددية في المنظور؟

■ سؤالك في صلب إشكالية شائعة في تعريف تعدد الأصوات لاسيما لناحية الفرق بينه وبين تعدد الرواة، وقد تناول الناقد والسيميائي الدكتور سعيد بنكراد موضوع الأصوات في الرواية في مقالة طويلة له أقتبس منها "لم تكن 'الأنا' في الرواية واحدة إلا في الظاهر، أما في جوهرها فهي ممكنات سلوكية تصرفها الشخصيات في الأحلام والرغبات المجهضة".

البوليفونية لا تتطلب بالضرورة شخصيات كثيرة تُسلَّم دفة الكلام تباعًا، بل يمكنها أن تتحقق، مثلًا، عبر رؤى متعددة وانعكاساتها على شخصية واحدة، أو عبر رؤى متعددة تتنازع الشخصية الواحدة، أو عبر "أنوات مستقلة في محكياتها. إنّ الساردةً لا تُدرك حقيقة قصتها إلا عندما يروي الآخرون قصصهم: إنها جزء من قصة رامي في الماضي، وجزء من قصة لمياء في الحاضر، وهي جزء من قصة كنان وقصة أمها في تفاصيل العيش" (بنكراد، 2026).

شرط التعددية يكمن في المعنى الذي يمكن إيصاله عبر أدوات مختلفة، وتعدد الرواة وسيلة لإيصال أصوات متعددة لكنه ليس الوسيلة الوحيدة. وهكذا، يتنازع داخل أنا الراوية منظور العاشقة (والتي ترفض أن تقول إنها عشقت)، ومنظور من وقع في فخ تلاعب رامي، ومنظور المتلاعبة (بلمياء)، أو حتى الـ"مجنونة" (كما نعتتها لمياء)، كما الثائرة، والكاتبة، والابنة؛ وعبر الراوية، نرى منظور أمّها، ورامي وكنان ولمياء، كما نرى البلد/بيروت عبر عينيها، وعبر عدسة كنان، وأيضًا نرى تأثير السرديات التي تتنازعنا في هذه المدينة الصاخبة المنفجرة.

● العرب: الأحداث كلها مروية بنبرة نسائية وما يعرفه القارئ عن شخصية رامي أو كنان أو والد الراوية يكون من خلال ما يترشح من رسائل ومدونات الحبيبة أو ذاكرة الزوجة. ألا يضفي ذلك طابعا نسويا على "عيون بيروت"؟

■ للقارئ أن يحدد الطابع الذي يراه في الرواية وأن يقرأها بما تشير له به خلفيته المعرفية والثقافية. في نظري، بطلة "عيون بيروت" امرأة، والرواية على تماس مع قضايا تعني النساء، لكنها في الوقت نفسه بعيدة عن أن تكون مانيفستو نسويًا. لسنا هنا في مواجهة بين النساء والرجال، بل في مواجهة مع سرديات مختلفة، ومع احتمال سوء استخدام الأدب، ومع المدينة التي تصارع الانهيار الأخير، ومع مفهوم الحبّ.

هنا، حق الراوية في السرد وفي إنتاج الحكاية في صلب الموضوع، وحق الراوي أيضًا (رامي)، وهناك صراع يتمحور حول سلطة الحكاية والسلطة على الحكاية، لكنه لا يحدث بين رجل وامرأة بل بين ثلاثة رواة بل أربعة إذا احتسبنا الأم، وعلى مدى أجيال. كما أن الرجل ليس مغيّبًا هنا، بل هو في قلب حكاية كل نساء القصة.

الأب الذي غاب لكنه ملأ الدنيا بغيابه، تسرُّب رامي إلى الراوية من خلال جرح الأب، أعمال كنان التي تحكي عنه/ صُوَره، حواراته مع الراوية، رواية رامي، تصرفاته... ما يعرفه القارئ عن الرجال في الرواية على اختلافهم يأتيه على لسان عدة رواة من بينهم راوٍ رجل هو صاحب "لعنة الحب"، وعبرَ إسهاماتهم المباشرة.

المنحى التجريبي

● العرب: هل ما تلاحظه الراوية من غزو الرائحة الغريبة لبيروت مجرد محاولة لتفعيل وظيفة الحواس أو مؤشر نبوئي للحدث؟

■ للرائحة ارتباطات على مستويات متعددة في "عيون بيروت". فهي ترتبط بالهوية، كما أنها مؤشرٌ حسيّ يلتقط ما قد لا تلتقطه اللغة أحيانًا، وهو مبنيّ على مؤشرات واقعية اجتماعية وسياسية بمثابة مقدمات للانهيار. فاحتجاجات 17 أكتوبر سبقتها احتجاجات على النفايات عام 2015، وملأت النفايات حينها شوارع بيروت، و"صرخنا جميعنا وقتها طلعت ريحتكم".

كما للرائحة وظيفة أساسية فهي تفعّل الذاكرة وتروما البلد وتروما الراوية، ولها دور أساسي كذلك في تفعيل نوبات الصداع النصفي التي تشتت نظر الراوية وتُغرقها في فيضانات حسّية. وفي النهاية، الرائحة مرتبطة بالحدس أيضًا، والحدس، كالحب، معادلة لم تحلّ في الرواية.

البوليفونية لا تتطلب بالضرورة شخصيات كثيرة، بل يمكنها أن تتحقق عبر رؤى متعددة وانعكاساتها على شخصية واحدة

● العرب: الإحالة إلى الصورة والمدونة واليوميات تتكررُ على مدار الرواية، هل الغرض من توظيف هذه الردائف النصية هو سد الثغرات السردية أو أن ذلك يلبي رغبة للتنوع في الصياغة؟

■ الصورة في الرواية تقف ندًّا للكلمة ومرادفًا للعين، وهكذا حين تعلّق الراوية قائلةً لكنان إن الصورة ميتة، يجيبها "حسنًا أيتها الكاتبة، هل الكلمة حية أم ميتة؟". كما أنها مرادف للعين، وكل ما يبقى من الحكاية، ومن "الثورة"، ومن "تمثال الشهداء"، ومن علاقة الأم والأب. إذًا الصورة ليست رديفًا نصيًا ولا هي تسدّ الثغرات بل بالعكس هي تُظهرها أكثر، أقصد الثغرات التي تجدها الراوية في قصّتها والتي تحاول اكتشاف طريقة سدّها على طول الرواية حتى تهتدي أخيرًا إلى الخيط الذي سيكشف لها كل شيء.

مستويات التجريب يفرضها النص لا رغبة كاتبه

علاقات إنسانية متداخلة (لوحة للفنانة زينة مصطفى)

أما في ما يخص المدونات أو اليوميات، فالرواية في الواقع لا تعتمد على أيّ منها. المقاطع التي كانت لمياء ترسلها إلى الراوية هي مقاطع من مشروع رواية لمياء، وهي جزء أساسي من المتن. فلولا رواية رامي، لما قرأنا رواية لمياء ولا كتبت الراوية حكايتها، ولولا الراوية، ربما لما كانت رواية لمياء. وهكذا، كل نصّ يؤثر في النص الذي يليه.

● العرب: مع أنَّ القارئ لا يستشفُ بأنَّ الروائية تحاكمُ شخصياتها الورقية أو تُدينها لكن ما يردُ على لسان الراوية "من يحرس الأدب من كل هذا؟" يثير سحابة من الريبة بشأن استعمالات أداتية للأدب. ما هو تعقيبك على الرأي الذي يعدُ "عيون بيروت" بشخصياتها وأحداثها إطاراً لهذا السؤال؟

■ أحبّ السؤال، "من يحرس الأدب من كل هذا"، وأحب أن أترك للقارئ تحديد ما هو "هذا". أخلاقيات الأدب موضوعٌ ضخم لا أدّعي معالجته، وطبيعة الفعل الروائي بحد ذاته تقف على مسافة غير واضحة من سؤال الأخلاق: كيف يتجاور الإبداع مع المسؤولية، وكيف يؤثر أحدهما على الآخر؟

من جهة أخرى، من الضروري الإشارة إلى أن الروايات ليست قاعات محاكم، لاسيما حين يتعلق الأمر بالنوايا. هل كانت نية رامي الحب أم الأذى؟ ماذا كانت نيّة الراوية من الكتابة، وما نيّتها من دفع لمياء نحو الكتابة؟ وأيضًا، هل هناك ما يؤكد لنا أن لمياء لم تكن لتكتب لولا الراوية؟ وكيف بدت لمياء كأنها انقلبت على منظور الراوية، ولماذا؟ تعنيني هذه الأسئلة كما تعنيني مساءلة الكتابة ومختلف حالاتها، حين تحمل ذنبًا وحين تحمل خلاصًا، وأيضًا حين تهيم على تخومهما.

● العرب: المنحى التجريبي جزء من تشكيلة "عيون بيروت" ويبرزُ ذلك بالوضوح في الروايات المتقاطعة في سياق النص لكن لماذا تبدو المؤلفة مقتصدة على هذا المستوى؟

■ بصراحة، حين بدأت بكتابة "عيون بيروت"، اعتقدت أنني ممسكة بطرف حبكة تقليدية. لكن، بما أنه "غالباً ما تبدأ الحكاية من مكان لتنتهي إلى مكان آخر"، انتقلت الكتابةُ بي إلى هذا النوع من التجريب الذي تذكره في سؤالك. شخصيًا، لا أؤمن سوى بحساسية النص ومعناه، ومستويات التجريب يفرضها النص وليس رغبة كاتبه في التعقيد أو التبسيط.

تجربتي الروائية الأولى في "لا شيء أسود بالكامل" حتّمت راديكالية أعلى في التجريب مع الحفاظ دائمًا على إتاحة الفهم للقارئ عبر سيل العواطف الذي ينتابه أثناء القراءة، لكنني أنظر إلى التجربة الثانية بأنها أكثر عمقًا في هذا المحلّ، لأن التجريب فيها أكثر تشبّثًا بالنص من تشبّثه بشكله، لكنني لستُ الحكم في ذلك.

رذيلة بلا عقاب

● العرب: "آلام فارتر" هي نص الظل ويلوح طيفه في أجزاء من روايتك إذ يفهم بأن رامي مهووس ببيئة فارترية غير أنَّه يريد قلب المعادلة وتكون البطلة هي مختبر للنزوات، ليس في روايته الشخصية "لعنة الحب" فحسب، إنما في الواقع أيضاً، الأمر الذي يذكر بكلام فاليري لاربو "القراءة رذيلة بلا عقاب"، هل فعلا هو محق في هذا الرأي؟

■ فارتر، بطل "آلام فارتر" الذي تماهى معه آلاف العشّاق أيام غوته، وانتحر بعضهم متمثّلًا به، هو المثال الأول في الرواية على "الحب الذي يقتُل"، وعلى كيف يمكن أن يكون للأدب ضحايا حتى خارج الورق، بسبب منظوره أو ربما بسبب سوء قراءته. وهكذا تحوّل الحب الذي ينشده فارتر في رواية غوته إلى خطر مدقع، أو باستعارة عبارة فاليريّ وتعديلها، إلى "رذيلة" تؤتي على القارئ "عقابًا" خطرًا لأنه يدفع ثمنها حياته.

أما لمياء، فلم أصنّفها ضحيةً أو بطلة. رامي جعلها بطلةً على طريقته في "لعنة الحب"، وكذلك الراوية جعلتها بطلةً في روايتها التي ستُكتب وتكتمل، وهي جعلت نفسها بطلة روايتها الخاصة. في حين أن رامي كان في النهاية ضحية المدينة ولم ينتصر عليه أحد. هو قرأ فارتر على طريقته، ولعله أراد فعلًا أن يصنع الحبّ ويحِبّ ويُحَبّ.

لكن السؤال الأكثر جاذبية لي، والذي يلامس ما قاله فاليري، هو: ما الذي يحدث عندما يتوقف القارئ عن التعاطي مع الأدب على أنه أدب، ويبدأ بالتماهي معه واعتماده طريقة حياة، أو تبريرًا لطريقة حياته، على غرار ما فعله رامي، هل يظل هذا حينها رذيلةً بلا عقاب؟

نورالدين الخماري لـ«العرب»: السينما أداة للتصالح مع الهوية المغربية

الممثل المغربي قادر على المنافسة عالميا إذا توفرت له الفرص والدعم

في حوار خاص مع "العرب" على هامش مهرجان "سيني بلاج" بالهرهورة، يكشف المخرج المغربي نورالدين الخماري رؤيته لفن السينما وتقييمه للحراك السينمائي في المغرب، مؤكدا أن الممثل هو الركيزة الأساسية لنجاح السينما الوطنية، وداعيا إلى بناء منظومة متكاملة لصناعة النجوم ترتقي بالفيلم المغربي نحو العالمية.

عبدالرحيم الشافعي
ناقد سينمائي مغربي

في إطار مهرجان "سيني بلاج" بمدينة الهرهورة الساحرة، أدارت الممثلة بشرى أهريش جلسة ماستر كلاس استثنائية مع المخرج نورالدين الخماري، الذي شارك جمهوره ورؤيته العميقة والمتطورة حول فن الإخراج وعلاقته الوثيقة والحميمية بالممثل كعنصر محوري لا غنى عنه في بناء السينما الأصيلة والقادرة على المنافسة الدولية.

استلهم المخرج المغربي تجاربه الغنية والمتراكمة من ثلاثية الدار البيضاء الشهيرة وفيلمه الأخير "ميرا" الذي أثار جدلاً نقدياً واسعاً، مؤكداً على أهمية الصدق الفني والتعاون الإبداعي الحقيقي في مواجهة تحديات الصناعة السينمائية المغربية المتزايدة والمعقدة. وفي هذا السياق كان لصحيفة "العرب" حوار مع المخرج المغربي حول آخر أعماله الفنية وطريقة تعامله مع الممثل المغربي.

> السينما المغربية لا تستقيم دون ممثل قوي يتمتع بموهبة ويحمل العمل بكل أبعاده الإنسانية والاجتماعية والنفسية

قال الخماري إن السينما المغربية لا تستقيم من دون ممثل قوي يتمتع بموهبة حقيقية ويحمل العمل بكل أبعاده الإنسانية والاجتماعية والنفسية العميقة، معتبراً أن نجاح الفيلم يبدأ من قدرة المخرج على اكتشاف المواهب الخفية وتطويرها عبر مرافقة مستمرة ومتفانية تجمع بين التوجيه الفني الدقيق والدعم النفسي المتواصل.

يرى الخماري أن الممثل يتحول إلى شريك حقيقي وفعّال يثري السيناريو بتجاربه الشخصية وملاحظاته الحساسة، ليمنح الشخصيات عمقاً يتجاوز النص المكتوب ويصل إلى الروح.

وشدد في حديثه مع "العرب" على أن الثقة المتبادلة والراسخة بين المخرج والممثل تشكل أساس كل نجاح فني حقيقي، خاصة في أجواء التصوير الصعبة والمرهقة التي تتطلب صبراً لا محدوداً وتفانياً مطلقاً. ويستلهم في ذلك تجاربه مع الممثلين الذين يمتلكون ذكاءً فنياً فريداً يسمح لهم بتجاوز مرحلة الحفظ الآلي إلى مرحلة الخلق الحقيقي والابتكار، داعيا إلى بناء منظومة تكوينية شاملة وقوية تدعم الممثلين الشباب حتى يصبحوا نجوماً قادرين على حمل السينما الوطنية إلى أفق عالمي أرحب.

ويعتبر الخماري أن الشخصيات في أفلامه تمثل مرآة معقدة وحقيقية للإنسان المغربي بكل تناقضاته الجوهرية، بعيدا عن ثنائية الخير والشر التقليدية التي تفقر الدراما وتسطحها، إذ يؤمن بأن هذه التعقيدات النفسية والاجتماعية تتطلب ممثلا ذكيا وحساسا يقوم ببحوث ميدانية معمقة ليفهم أبعاد الدور بعمق حقيقي. ويرى أن الشخصية الناجحة تلك التي تجسد واقع الشارع والمجتمع بصدق كامل، مستخدمة لغة دارجة تعبر عن الهوية دون تزييف أو تصنع، بينما شدد على أن المخرج يجب أن يمنح الممثل حرية الاقتراح والإضافة ليثري العمل بأفكار جديدة، في حين يستحضر كيف تحولت شخصيات "كازانيغرا" و"زيرو" إلى رموز عميقة لجيل يعاني الإحباط المستمر والأحلام المؤجلة.

كما شدد الخماري على أن وجه الممثل وتعبيراته الدقيقة والحساسة تشكل أقوى لغة بصرية في السينما، متفوقة بكثير على المؤثرات الرقمية والديكورات الفخمة، إذ يرى أن الإنصات الحقيقي للممثل يحوله من منفذ سلبي إلى مبدع مشارك حقيقي يضيف طبقات عاطفية وإنسانية غنية ومتنوعة. ويؤكد أن كرم القلب والسخاء الفني والعطاء اللامحدود سر نجاح الأداء، خاصة مع ممثلين مثل رفيق بوبكر وأنس الباز يغوصون بجرأة في أعماق الدور، بينما ينتقد الممثلين الذين يعتمدون على الجمال السطحي دون ذكاء فني أو عمق إنساني.

وفي سياق متصل دعا إلى كاستينغ يركز على القدرة على البحث المتواصل والتطور المستمر. كما يستلهم من تجاربه في النرويج وأوروبا أهمية التركيز على الوجوه كعنصر درامي أساسي لا يمكن تجاوزه.

واستحضر المخرج تجاربه الغنية والمباركة مع ممثلين كبار مثل الراحل محمد مجد وراوية وابن براهيم، مشيرا إلى أن الثقة المتبادلة والصادقة كانت مفتاح النجاح الحقيقي في أعماله المختلفة، إذ يصف بتفاصيل كيف ساهم سخاؤهم الفني الكبير في تجاوز الصعوبات الإنتاجية الكثيرة وإضفاء صدق حقيقي على الشخصيات. وهو يرى أن هؤلاء الممثلين يمثلون مدرسة متكاملة في الالتزام العميق بالدور والتعاون الخلاق مع المخرج.

كما دعا الشباب إلى التعلم منهم بالصبر اللامحدود والتفاني المطلق في العمل، مؤكدا أن العلاقة الإنسانية الصادقة خارج الكاميرا تعزز الأداء الحقيقي داخلها، مستذكرا كواليس "بورن آوت" كمثال حي على هذا التعاون الخلاق والثمار التي يحملها.

وأبرز الخماري خصائص الممثل المغربي المتميزة التي تعكس ثقافة غنية وعميقة، حينما يتمتع بسخاء فني كبير واستعداد حقيقي للعطاء عند توفر رؤية واضحة وقوية. ويشمل ذلك الاهتمام الشديد بالتفاصيل الدقيقة من الماكياج إلى الأداء الحركي المتقن والصوتي المعبّر. ويرى أن هذا السخاء الفني يجعل الممثل قادراً على تجسيد التناقضات الاجتماعية والنفسية بصدق عميق. بينما دعا إلى مواكبة تقنية متكاملة وحديثة تدعم الممثل نفسياً وفنياً وجسدياً، مستحضرا تجربة "ميرا" كمثال ناجح على استخدام وجوه جديدة مع مخضرمين متمرسين، ومؤكدا أن الممثل المغربي قادر على المنافسة عالمياً إذا توفرت له الفرص والدعم اللازم.

ودعا الخماري إلى بناء منظومة متكاملة وشاملة لصناعة النجوم في المغرب ترى في النجم رافعة ثقافية واقتصادية حقيقية، حيث يرى أن النجم يستقطب الجمهور الواسع ويلهم الأجيال الشابة بنماذج محلية أصيلة تستحق الاتباع. وشدد على أهمية التكوين المستمر والفرص المتساوية لجميع المواهب المحتملة، لكنه انتقد الاعتماد المفرط على الوجوه الأجنبية والوافدة على حساب المواهب المحلية، منبها المؤسسات الحكومية والخاصة إلى دعم الإنتاجات الجادة التي تبرز المواهب الوطنية.

وعاد الخماري بذاكرته إلى بداياته المتواضعة في آسفي ودراسته الثرية في النرويج، مشيراً إلى كيف شكلت هذه التجارب المتنوعة رؤيته العميقة حول السينما كأداة فعّالة لفهم الإنسان وأعماقه. وروى كيف عاد إلى المغرب ليوثق تحولات المجتمع والحياة اليومية المعقدة. وهو يرى أن هذه المسيرة الطويلة علمته التوازن الحكيم بين التقنية المتقدمة والعمق الإنساني الحقيقي. واستحضر أفلامه القصيرة الأولى كأساس متين لأسلوبه الفني وملامحه المميزة. وحاول أن يرشد الشباب إلى الصبر المطلق والإيمان القوي بالحلم رغم العقبات، موضحا أن التجارب الدولية أثرت بعمق في فهمه للهوية المغربية والعربية.

لا بد من نقاش حر وفعّال حول الأعمال السينمائية

> فنان يؤكد أن السينما أداة فعّالة للتصالح مع الهوية المغربية متعددة الأبعاد بما فيها الأمازيغية والعربية والأفريقية

ويستكشف الخماري في أفلامه المتعددة مثل "كازانيغرا" و"زيرو" و"بورن آوت" أعماق المدينة كشخصية مركزية حية مليئة بالتناقضات والحيوية. ويرى أن الدار البيضاء تمثل مرآة صادقة للإحباط والأمل والنضال المتواصل للإنسان المعاصر، إذ ينتقل في "ميرا" إلى الطبيعة الخضراء الساحرة ليطرح أسئلة عميقة حول الحرية والتصالح مع الذات والبحث عن السلام الداخلي. ويؤكد أن كل فيلم يمثل مرحلة تطور محدد وواضح في مشروعه الفني الشامل. وهو يدعو إلى سينما جريئة وصادقة توثق الواقع دون تزييف أو تجميل مخادع. ويستلهم من الكبار مثل برغمان وسكورسيزي أهمية الوجوه الإنسانية والصراعات الداخلية العميقة.

ويؤمن الخماري بأن السينما أداة فعّالة وقوية للتصالح مع الهوية المغربية متعددة الأبعاد والجوانب، بما فيها الأمازيغية والعربية والأفريقية. وأن استخدام الدارجة يبرز الواقع الحقيقي والحياة اليومية الفعلية للناس. وهنا أوضح طريقة التخلص الجريء من عقدة الأجنبي والرقابة الذاتية التي تقيد الإبداع الحقيقي، وأن دور السينما الحيوي في إلهام الشباب وتغيير المجتمع من خلال الفن، وأن الأعمال الفنية النابعة من القلب والشعور الحقيقي تترك أثراً خالداً في نفوس المتلقين.

واختتم المخرج المغربي حديثه مع "العرب" برسالة موجهة للأجيال الجديدة الطموحة إلى الإبداع بضرورة الثقة القوية في قدراتها الإنسانية والفنية، إذ يرى أن الممثل والمخرج يشكلان ثنائيا متكاملا يبني مستقبل السينما الحقيقي والمزدهر، مجددا دعوته إلى دعم مؤسساتي حقيقي وفعّال يفتح أبواب التجربة الواسعة أمام الموهوبين. ومؤكدا أن السينما المغربية قادرة على الوصول إلى العالمية من خلال المواضيع المحلية الأصيلة والجذور الراسخة، ولا بد من خوض نقاش حر وفعّال حول الأعمال الفنية وقيمتها الإنسانية.

الفن مأساة في معرض «أمي» لزينب العاني

علي إبراهيم الدليمي
كاتب عراقي

في قاعة المعهد الثقافي الفرنسي ببغداد، وعلى جدران بيضاء بدت كصفحات دفتر مفتوح، افتتح مساء الخميس المعرض الشخصي الأول للفنانة الشابة زينب العاني تحت عنوان "أمي". ست وعشرون لوحة بقياسات متقاربة، لا تبحث عن ضجيج ولا عن استعراض تقني، بل تضع أمامنا حكاية واحدة مكررة بوجوه متعددة: حكاية نجاة، وحكاية وفاء.

زينب العاني من مواليد 2001، طالبة في المرحلة الثانية بقسم الفنون التشكيلية في إحدى الجامعات الخاصة في بغداد.

وقبل أن نتحدث عن الفرشاة واللون والخط، لا بدّ أن نمر بالحكاية الإنسانية التي صنعت هذه التجربة، حيث تعرضت الفنانة قبل سنوات إلى خطأ طبي قاتل، جراء علاج غير ملائم صرف لها، فانتكست حالتها الصحية بشكل حاد، وعاشت رحلة علاج طويلة بين بغداد وعمان وتركيا، وأنفقت عائلتها مبالغ كبيرة في محاولة لاستعادتها الحياة، في كل هذه الرحلة كانت الأم حاضرة، لا كمرافقة فقط، بل كسند وكتف وكيد تمسك بالخوف كي لا يسقط.

ومن هذا الرحم الموجوع خرج المعرض، لم ترسم زينب مشاهد عامة عن المرض أو عن المدينة أو عن الحرب. حصرت موضوعها في الأم، وفاءً وتقديراً، وحولت الألم الشخصي إلى فعل فني متماسك.

ما نراه على الجدران ليس توثيقا لحالة مرضية، هو تحويل لتلك التجربة إلى لغة بصرية لها قواعدها الخاصة.

يمكن وصف لغة زينب العاني بأنها مزيج بين التعبيرية المحدثة وتكعيبية مبتكرة، إذ لا تسعى الفنانة إلى واقعية تشريحية، ولا إلى زخرفة ساذجة، تريد أن تمسك الإحساس وتضعه على السطح مباشرة.

أول ما يصدمك في اللوحات هو خط أسود سميك حاد، يطوق الشخصيات والعناصر كما لو كان سوراً، هذا الخط لا يعمل فقط على ضبط الشكل، بل ينتج معنى هو إحساس بالحصر، بالرغبة في التشبث، بالخوف من أن تفلت الأشياء من يدك.

داخل هذا التأطير الأسود تتحرك الأشكال بحرية فوضوية، وكأن الحياة تحاول أن تتنفس داخل قفص. والخط هنا فعل مقاومة، وكأنه يقول: أنا موجود رغم كل شيء، والعنصر الثاني الذي يفرض نفسه هو العين؛ عيون واسعة شاخصة تتكرر في كل الأعمال تقريباً، ليست عيوناً ترى فقط، بل نوافذ محملة بإجهاد طويل وبدهشة الصمود، عين رأت حافة الغياب وعادت.

في بعض اللوحات تبدو العين أكبر من الوجه نفسه، فتبتلع التفاصيل الأخرى، هذا التضخيم التعبيري ليس تشويهاً عبثياً، هو تكثيف.

الفنانة تريد أن تقول إن النظر نفسه تغير بعد التجربة، حيث أصبح النظر فعل بقاء داخل هذا الإطار الخطي والبؤري العيني، إذ تبني زينب عالمها الرمزي؛ عالما لا يخاف التناقض.

> 26
> لوحة لا تبحث عن ضجيج ولا عن استعراض، بل تضع أمامنا حكاية واحدة مكررة بوجوه متعددة

في إحدى اللوحات تظهر الفنانة وهي تحمل فرشاتها وأنابيب الألوان، مرتدية قبعة الفنان التقليدية، حولها شبكة من الخطوط المتداخلة كأنها تعيد رسم العالم من جديد. هنا الفن لا يقدم كمهنة، بل كفعل قيامة. الفرشاة هي التي أعادت ترتيب الفوضى، واللون هو الذي انتزع الجسد من العتمة.

وفي لوحات أخرى يعود حضور الطفولة، لكنها طفولة محاصرة. دببوب صغير، قبعة عيد، سيارة لعبة. كلها أشياء بهجة، لكنها مرسومة بعيون حزينة بالغة، هذا التناقض مقصود، إنه استعادة للذات الهشة التي كانت أثناء العلاج.

الروح التي تنظر إلى العالم بعين طفل: قلق وأمل في آن واحد، لا يوجد هنا حنين ساذج إلى البراءة، يوجد اعتراف بأن البراءة جرحت، ومع ذلك أصرت على البقاء.

وتتكرر صورة المرأة ذات الشعر الأسود الكثيف، محاطة بالورود؛ وردة بيضاء، وردة وردية، أشكال هندسية للأزهار تنبت وسط خلفية زرقاء كئيبة.

الوردة عند زينب ليست زخرفة، هي رمز للتجدد، للعناد النباتي الذي ينمو رغم الجدران. الشعر الأسود الكثيف يتحول إلى غابة صغيرة، وإلى ظل يحمي، وإلى تاج. المرأة هنا ليست نموذجاً جمالياً، هي كيان يقاتل.

أما ألوانها في المعرض فتقوم على صراع واضح بين العتمة والضياء، يسيطر الأزرق بدرجاته، من الأكوا إلى الأزرق الليلي، مع مساحات سوداء تغلق الخلفية، هذا الأزرق ليس سماء مفتوحة، هو عتمة الوجع، وأيام المرض الطويلة، وشعور العزلة في غرفة المستشفى، لكن زينب لا تترك الأزرق يحسم المعركة، فتفجر في المقابل ألواناً أخرى: أصفر، أحمر، أبيض. تظهر في تفاصيل الملابس، في الألعاب، في الورود، في خصلات الشعر. وهي ألوان الحياة التي تنتزع وجودها انتزاعاً من ظلام الخلفية. اللون عندها ليس زينة، هو معادل موضوعي للحالة النفسية والجسدية.

حين يضيق الأزرق، يرد الأصفر. وحين يثقل السواد، يقفز الأحمر كصرخة، هناك أيضا تفاصيل صغيرة تشتغل كإيقاع خطوط شبكية، أشكال هندسية مبسطة، ولمسات تشبه الكولاج. لا تهدف الفنانة إلى إتقان أكاديمي تقليدي، بل إلى كثافة.

اللوحة عندها أشبه بورقة يوميات كتبت بعجلة، لكن كل كلمة فيها محسوبة، ولهذا تبدو بعض الأشكال شبه كارتونية أو شبه تكعيبية. هذا التبسيط ليس ضعفاً تقنياً، هو قرار تبسيط يركز المشاعر ويجردها من الزوائد كي تصل مباشرة.

ما يميز معرض "أمي" كذلك، أنه لا يقدم بطلة أسطورية بل يقدم أما حقيقية، بكل ما تحمله الكلمة من تعب وصبر، الأم غير موجودة كجسد واحد متكرر، بل كحضور يتوزع، أحياناً في الوردة، وأحياناً في قبعة العيد التي تشتريها، وأحياناً في اليد التي تمسك بالفرشاة مع ابنتها.

معرض خرج من رحم المعاناة

العرب
السبت 2026/07/25
السنة 49 العدد 13870

ويكيبيديا تواجه خطر استنزاف المحتوى لصالح الخوارزميات

ويكيمانيا باريس تبحث مستقبل المعرفة الحرة في عصر الذكاء الاصطناعي

في باريس، وبين أروقة مؤتمر ويكيمانيا 2026، لا تحتفل ويكيبيديا بماضيها فقط، بل تخوض نقاشاً مصيرياً حول مستقبلها؛ إذ أصبح الذكاء الاصطناعي التوليدي منافساً وشريكاً في آن واحد، قادراً على استثمار محتواها الضخم، لكنه يطرح أسئلة حادة حول حقوق المساهمين، واستدامة المعرفة المفتوحة، ومستقبل الموسوعة الرقمية.

د. حسن مصدق
أستاذ في جامعة باريس 8

في قلب العاصمة الفرنسية باريس، وعلى وقع احتفالات صاخبة بمرور ربع قرن على تأسيس أكبر مشروع معرفي رقمي في تاريخ البشرية، تجد "ويكيبيديا" نفسها اليوم أمام مفترق طرق وجودي لا يقل ضراوة عن التحديات التي واجهتها عند انطلاقتها الأولى. ومن بين أروقة ورش العمل وجلسات النقاش المتواصلة في مؤتمر "ويكيمانيا"، يبرز صوت مجتمع المساهمين والمطورين العرب والعالميين واضحاً وجلياً؛ ليعكس هواجس ملحة حول مصير الموسوعة الحرة في عصر يبتلعه الذكاء الاصطناعي التوليدي. ومن خلال قراءة الواقع المتشكل داخل قاعات المؤتمر، يتبدى بوضوح أن المعركة لم تعد تقتصر على تنقيح المقالات أو زيادة أعدادها، بل تحولت إلى صراع مصيري على "السيادة الرقمية"، وحماية المعرفة البشرية من آليات الاستنزاف المنهج والتزييف العميق.

تحت شعار "الحرية، الإنصاف، الموثوقية"، تكتسب استضافة العاصمة الفرنسية باريس لمؤتمر "ويكيمانيا" الدولي (21 – 25 يوليو 2026) أبعاداً استراتيجية بالغة الأهمية؛ فهو لا يقتصر على الاحتفال بيوبيل الفضة وتقييم مسيرة ربع قرن من المعرفة الحرة فحسب، بل يمثل نقطة تحول كبرى عند مفترق طرق حرج تمر به الموسوعة الرقمية الكبرى، إذ لم يعد التحدي مقتصراً على مجرد توسيع قاعدة المحتوى أو زيادة عدد المقالات، بل تجاوز ذلك ليصبح صراعاً وجودياً يحتم على المنصة والموسوعات الرقمية الأخرى إعادة صياغة نموذج عملها كاملاً في مواجهة صعود الذكاء الاصطناعي التوليدي والتطور المتسارع للتقنيات الحديثة.

هذا الاجتماع الدولي السنوي، الذي يجمع مجتمع "ويكيميديا" عبر آلاف المشاركين — بين حضور وازن يضم أكثر من 1200 مشارك في العاصمة الفرنسية باريس، ومشاركة افتراضية واسعة عبر الإنترنت تفوق ألفين وخمسمئة متفاعل من مختلف أنحاء العالم — يخصص أيامه لورش العمل وجلسات التفكير المكثفة. إذ بعد خمسة وعشرين عاماً من الوجود، يجب على ويكيبيديا التكيف حتى لا تختفي، في حين أن تطوير الذكاء الاصطناعي يهدد نموذجها. ومن ثم يتجلى التحدي الأول في صمود المنصة، بحيث أصبحت الموسوعة لا غنى عنها للفضوليين الباحثين عن المعلومات، والطلاب، والصحفيين، لكن ظهور الملخصات التي تنتجها أدوات الذكاء الاصطناعي في محركات البحث قد يهدد نجاحها.

> **في عصر الإجابات الفورية، تخشى ويكيبيديا فقدان دورها كمصدر أول للمعلومة لصالح منصات الذكاء الاصطناعي المغلقة**

وتكمن ذروة الأزمة في هذا التحول البنيوي الواسع الذي تفرضه تقنيات مثل ملخصات الذكاء الاصطناعي وأنماط البحث الذكي، إذ لم تعد أدوات الذكاء الاصطناعي مجرد محركات مساعدة لتوجيه المستخدم نحو المصادر، بل باتت "وسيطاً مُطلقاً" يقف بين العقل البشري ومجمل شبكة المعلومات. هذا الوسيط الجديد يعيد هندسة التجربة الرقمية عبر امتصاص المحتوى البشري وإعادة صياغته في إجابات فورية مغلقة، محولاً شبكة الإنترنت المفتوحة وموسوعاتها إلى فضاء معزول تتلاشى فيه الروابط والمصادر. ونتيجة لذلك، يواجه نموذج ويكيبيديا القائم على زيارات واستدامة المجتمعات البشرية تهديداً غير مسبوق؛ ففقدان دور "الوجهة الأولى" للمعلومة لصالح وسيط ذكي يتغذى على مجهود المتطوعين دون مقابل، ينذر بتجفيف منابع حركة المرور وكسر الحلقة الحيوية التي تبقي الموسوعة حية ومستدامة.

بشكل متناقض، فإن هذه الملخصات التي تتكون من بضع سطور والتي تظهر على بعض محركات البحث مثل غوغل تعتمد غالباً على المعلومات التي ينتجها المساهمون في ويكيبيديا، لكن دون ذكر مصادرهم. إنهم يحرفون بذلك حركة المرور على المنصة من خلال توجيه المستخدمين نحو الذكاء الاصطناعي بدلاً من الموقع.

وتحذر برناديت ميهان، المديرة العامة لمؤسسة ويكيميديا، في هذا الصدد: "في العام الماضي، سجلنا أن 65 في المئة من حركة المرور على الموقع كانت تأتي من الروبوتات"، بحيث يُسخرون تلقائياً لجمع بيانات الموقع لتغذية أنظمة تعلم الآلة. وذلك أن زيادة الحركة الناتجة عن الروبوتات، وفق ميهان، "تضر بالبنية التحتية والخوادم، مما يكلف المؤسسة المال، ومن ثم، يمكن أن يؤدي ذلك أيضاً إلى تدهور تجربة المستخدمين البشريين الذين يزورون الموقع".

تحاول ويكيبيديا التغلب عليها من خلال تقديم وصول تجاري إلى خوادمها: "إذا كان المجتمع الرقمي العام (المساهمون) يدعم الاقتصاد العالمي للذكاء الاصطناعي، فيجب على الذكاء الاصطناعي، بدوره، دعمنا أيضاً. يجب أن يكون ذلك مفيداً للطرفين"، وفقاً للمديرة العامة لمؤسسة ويكيميديا.

بصرف النظر عن مسائل الائتمان والرؤية، فإن تطوير الذكاء الاصطناعي يهدد موثوقية المقالات كما أن "إضافة معلومات كاذبة ومصادر معلومات مزيفة هو تحدٍ أساسي"، يصرح ريمي جيربيه، المدير التنفيذي في ويكيميديا فرنسا. إذ حتى وإن كان من الصعب اكتشافها بالنسبة للمساهمين، فإنها تزداد بشكل متزايد، وفق ما وضح المسؤول، مما يصبح معه تأثير إشكالي، خاصة مع اقتراب المواعيد الانتخابية مثل الانتخابات الرئاسية لعام 2027. لذلك إن مكافحة هذه الآفة تتم من خلال التحقق اليدوي المنهجي؛ إذ نحتاج إلى إنشاء شراكات وتحالفات لمساعدة المجتمع على اكتشاف هذا النوع من المحتويات، مع جمعيات المدققين ووسائل الإعلام.

إلى جانب هذه التحديات التقنية والاقتصادية، يواجه المؤتمر هواجس أمنية وسياسية بالغة الخطورة، حيث تحذر مؤسسة ويكيميديا من أن البيئة العالمية أصبحت أكثر تهديداً لمجتمع متطوعيها في ظل تصاعد الضغوط السياسية ومحاولات فرض أجندات مأدلجة، أو ملاحقة المساهمين الذين يعتمدون على "الأسماء المستعارة" لحماية سلامتهم الشخصية في بيئات مضطربة. من هنا، يبرز الدفاع عن حريات التنظيم الذاتي وحماية الهويات الرقمية كأحد أبرز محاور "ويكيمانيا" لترسيخ السيادة الرقمية والتضامن العابر للغات.

في العالم العربي، تكتسب ويكيبيديا أهمية مضاعفة بوصفها الشريان المعرفي المفتوح الأبرز والأكثر جماهيرية في فضاء رقمي يعاني غالباً من شح المصادر الموثوقة وضعف المحتوى الرقمي الرصين. غير أن الرهانات المحيطة بتطوير النسخة العربية تظل معقدة ومحفوفة بالتحديات؛ فهي لا تواجه فقط أزمة تراجع عدد المساهمين المتطوعين مقارنة بحجم الكتلة الديموغرافية للناطقين بالعربية، بل تصطدم أيضاً بندرة المراجع الأكاديمية الرقمية الحرة، وتعقيدات الحياد السياسي، فضلاً عن خطر ابتلاع خوارزميات الذكاء الاصطناعي للجهد التأسيسي للمتطوعين العرب دون أي عائد يعزز استدامة المبادرات المحلية. ومن هذا المنطلق، يتحول النضال من أجل حماية الموسوعة عربياً إلى معركة حاسمة لتأمين الحق في إنتاج المعرفة بلغة الضاد، وحمايتها من التهميش أو الذوبان في الخرائط التقنية المستقبلية.

المعرفة تحت الحصار

حاليا تسجل نسخة ويكيبيديا باللغة العربية، عادة ما بين 180 و260 مليون مشاهدة صفحة (أو زيارة) شهرياً، وذلك حسب المواسم والأحداث الجارية (مع تسجيل ذروة ملحوظة في فصل الشتاء وفي الربيع). أما النسخة الناطقة بالعربية فتضم حالياً حوالي 1.325.000 مقال، وعلى الرغم من أن جزءاً كبيراً منها يأتي من عمليات الترجمة (لاسيما من الإنجليزية أو الفرنسية)، إلا أن الكثير منها يُكتب مباشرة باللغة العربية من قبل مجتمع المساهمين النشطين.

بالمقابل، إذا كان الذكاء الاصطناعي يساهم في تضخيم نقل المعلومات الخاطئة في الوقت الحالي، فإنه يمكن أيضًا أن يساعد في تحسين إدارة المنصة في المستقبل. إذ منذ عام 2017، أصبحت نماذج التعلم الجديدة شائعة وتسمح لويكيبيديا بتحديد التعديلات التي تلوث الموقع بسهولة أكبر وحذفها تلقائيًا. إذ على الرغم من المشاكل الجديدة التي تثيرها، فإن الذكاء الاصطناعي لا يُرفض بشكل قاطع من قبل ويكيبيديا، التي تنوي الاستفادة من هذه التقدمات الجديدة لتحسين أدائها الخاص. ويبقى أنه بالنسبة لجيمي ويلز، مؤسس ويكيبيديا، فإن المنصة "تتعلم استخدام الذكاء الاصطناعي تدريجيا. لقد شهدنا بالفعل تغييرات تكنولوجية كبيرة، وتكيفنا معها. على المدى الطويل، سنكون هنا".

هكذا، سيغادر المشاركون في "ويكيمانيا باريس 2026" وهم يدركون أن الرهان لم يعد محصوراً في كفاءة التقنية أو نمو الأرقام، بل في صون الروح البشرية التي قامت عليها الموسوعة. وبينما تسابق ويكيبيديا الزمن لإعادة هندسة قواعد اشتباكها مع شركات الذكاء الاصطناعي، يظل اختبارها الأكبر معلقاً على قدرتها على حماية استقلاليتها، وضمان ألا يتحول الإرث المعرفي المجاني للبشرية إلى مجرد مادة خام في خزائن عمالقة التكنولوجيا.

الذكاء الاصطناعي يجمع الدول لصياغة مستقبل أكثر مسؤولية وشمولا

شانغهاي (الصين) - في وقت يعيد فيه الذكاء الاصطناعي تشكيل الاقتصادات والمجتمعات بوتيرة متسارعة، يتجه الاهتمام العالمي إلى ما هو أبعد من الاختراقات التكنولوجية، ليركز على كيفية تطوير هذه التكنولوجيا بصورة مسؤولة وشاملة.

ويرى كثيرون أن المؤتمر العالمي للذكاء الاصطناعي لعام 2026، الذي استضافته مدينة شانغهاي في الصين خلال الفترة الممتدة من 17 حتى 20 يوليو، يمثل منصة مهمة تجمع الدول للتصدي للتحديات المشتركة، وتعزيز التعاون، وضمان مشاركة عدد أكبر من البلدان في رسم مستقبل الذكاء الاصطناعي.

وقال مارك جاي نيتزبيرغ، المدير التنفيذي لمركز الذكاء الاصطناعي المتوافق مع البشر بجامعة كاليفورنيا في بيركيلي بولاية كاليفورنيا الأميركية وأحد الضيوف المتحدثين في المنتدى الرئيسي للمؤتمر، إن "الصين تؤدي دورا مهما، ليس فقط من خلال المشاركة، بل أيضا بالدعوة إلى الاجتماع وجمع الدول والأشخاص المعنيين لدفع ذكاء اصطناعي آمن وأخلاقي، فضلا عن وضع المعايير عبر تبني بعض لوائح السلامة في مرحلة مبكرة".

من جانبه قال جون إدوارد هوبكروفت، الحائز على جائزة تورينغ، في تصريح لوكالة أنباء "شينخوا" على هامش المؤتمر إن "الذكاء الاصطناعي سيواصل التغير باستمرار، وستطرأ تغيرات أخرى أيضا، لذلك يجب تبني إستراتيجية قادرة على التكيف مع هذه التغيرات".

وأشار هوبكروفت إلى أن كل تكنولوجيا لها مزايا وعيوب، مؤكدا ضرورة وجود حوكمة عالمية للذكاء الاصطناعي، وقال إنه "يتعين على الحكومات تنظيم هذه التكنولوجيا بما يتيح الاستفادة من جوانبها الإيجابية".

بدوره قال كانغ هو-قو، مدير المعهد الصيني-الكوري للدراسات الاقتصادية والاجتماعية، إن التطور السريع للذكاء الاصطناعي، رغم ما أحدثه من آثار إيجابية عديدة، أثار أيضا العديد من المخاوف، موضحا أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يخدم البشرية ويسهم في تحقيق الصالح العام إذا استُخدم بصورة سليمة ومسؤولة، لكنه قد يشكل مخاطر على المجتمع البشري إذا أسيء استخدامه أو استغلاله.

وفي هذا السياق يرى كانغ أن المؤتمر العالمي للذكاء الاصطناعي ينعقد في توقيت بالغ الأهمية، إذ أنه يوفر لأصحاب المصلحة في مختلف مناطق العالم منصة قيّمة لمناقشة الفرص والتحديات والمسار المستقبلي لهذه التكنولوجيا.

من جانبه أشار شيويه لان، عميد كلية شوارزمان بجامعة تسينغهوا، إلى عدد من المخاطر المرتبطة بالذكاء الاصطناعي، من بينها إساءة الاستخدام، واحتمال حدوث أعطال تقنية أو فقدان السيطرة، إلى جانب تحديات اجتماعية مثل فقدان الوظائف واتساع فجوة تفاوت الدخل.

وسلط شيويه الضوء على الفجوة العالمية في مجال الذكاء الاصطناعي باعتبارها أحد أبرز التحديات، مشيرا إلى أن تركيز الصين على بناء القدرات والتنمية الشاملة يستجيب لشواغل العديد من الدول النامية.

وأوضح أن جهود الصين لا تقتصر على تقاسم التقنيات والتطبيقات فحسب، بل تشمل أيضا مساعدة الدول على بناء قدراتها الذاتية بما يمكنها من تطوير واستخدام الذكاء الاصطناعي وفقا لاحتياجاتها وظروفها الخاصة.

وفي السياق نفسه تحدث كانغ عن اتساع الفجوة في مجال الذكاء الاصطناعي بين الدول المتقدمة والبلدان النامية، مشيرا إلى أن الفوارق التكنولوجية ومحدودية الموارد قد تؤديان إلى تعميق التفاوتات الاقتصادية والمعرفية القائمة.

بدوره قال باليو ديميسي، كبير المستشارين في معهد الدراسات السياسية الإثيوبي، إن المؤتمر يكتسب أهمية خاصة لأن "الذكاء الاصطناعي لم يعد مجرد قضية تكنولوجية، بل أصبح تحديا عالميا في مجال الحوكمة يتطلب تعاونا دوليا في ما يتعلق بالأخلاقيات والسلامة والشمولية وإتاحة الوصول العادل".

وأضاف ديميسي أن المؤتمر "يوفر منصة مهمة للتواصل والتعلم وبناء الشراكة، وفرصة للدول النامية لتتجاوز كونها مستهلكة للتكنولوجيا لتصبح أطرافا فاعلة في الابتكار بمجال الذكاء الاصطناعي من خلال بناء القدرات وتبادل المعرفة وإقامة الشراكات".

بدوره قال كافينس أدهير، الباحث الكيني في العلاقات الدولية، إن أفريقيا، بما تمتلكه من تركيبة سكانية شابة واعتماد متزايد على التقنيات الرقمية، تقف عند منعطف حاسم، محذرا من أن عدم مشاركتها الفعالة في ثورة الذكاء الاصطناعي قد يؤدي إلى اتساع الفجوة العالمية في هذا المجال.

وفي هذا السياق أوضح أن المؤتمر يمثل فرصة مهمة لتعزيز تنمية أكثر توازنا للذكاء الاصطناعي على مستوى العالم.

من جانبه قال برافات تانتيساجاثام، رئيس الجمعية التايلاندية لسلسلة الكتل (البلوك تشين)، إن المؤتمر أتاح لتايلاند منصة قيمة للاستفادة من الخبرات الدولية وتعزيز قدراتها في تطوير تقنيات الذكاء الاصطناعي والبنية التحتية الرقمية.

وأضاف أن المؤتمر يعكس دور الصين كقوة تكنولوجية كبرى تدعم تنمية الدول الأخرى، وتشجع الانفتاح والتعاون بدلا من العزلة التكنولوجية، بما يساعد الدول النامية على مواكبة التطورات.

وقال نيناد بوبوفيتش، وهو وزير صربي بلا حقيبة، إن "المؤتمر العالمي للذكاء الاصطناعي لعام 2026 لا يمثل فقط مكانا لمناقشة مستقبل الذكاء الاصطناعي، بل أيضا مكانا تُرسى فيه أسس نظام مستقبلي للتعاون الدولي والحوكمة العالمية في هذا المجال".

ووقعت 29 دولة في شانغهاي اتفاقا لإنشاء المنظمة العالمية للتعاون في مجال الذكاء الاصطناعي من أجل التعامل مع الفرص والتحديات التي تطرحها آلات التفكير.

وأضاف بوبوفيتش أن إنشاء المنظمة "يمثل بداية بناء نظام جديد للتعاون الدولي في مجال الذكاء الاصطناعي يقوم على الحوار والثقة المتبادلة والمسؤولية المشتركة".

وأكد أن الهدف المشترك ينبغي أن يتمثل في ضمان بقاء الذكاء الاصطناعي في خدمة البشرية، وإسهامه في تحقيق التنمية المستدامة، وأن يكون محركا للازدهار المشترك بدلا من أن يصبح مصدرا لانقسامات جديدة.

الحوكمة العالمية للذكاء الاصطناعي

أبرز نجوم الملاكمة العالمية يؤكدون جاهزيتهم لنزالات جدة

الأنظار نحو مواجهة جوشوا وبرينغا

انطلقت الثلاثاء، في جدة، فعاليات أسبوع الملاكمة الخاص ببطاقة "ذا كومباك"، إيذانا ببدء العد التنازلي للأمسية العالمية التي ستستضيفها "جدة سوبر دوم" اليوم السبت، ويتصدرها النزال الرئيسي في الوزن الثقيل بين بطل العالم السابق البريطاني أنتوني جوشوا، والملاكم الألباني كريستيان برينغا، وذلك ضمن فعاليات "تقويم جدة" بالتعاون مع "موسم الرياض".

الرياض - أكد أبرز نجوم الملاكمة العالمية جاهزيتهم لخوض نزالاتهم المرتقبة ضمن أمسية نزالات "ذا كام باك" الـ13، وذلك خلال المؤتمر الصحفي الرسمي مساء الخميس، وسط حضور إعلامي كبير، قبل المواجهات المنتظرة التي ستستضيفها "جدة سوبر دوم" مساء السبت.

واستهل بطل العالم السابق للوزن الثقيل البريطاني أنتوني جوشوا حديثه عن مواجهته مع الألباني كريستيان برينغا بالتأكيد على جاهزيته الكاملة، مشددًا على أن تركيزه لا ينصب على منافسه فقط، بل على جميع عناصر المعسكر المقابل.

الحفاظ على التركيز

وقال جوشوا "أنا في كامل تركيزي. الأمر لا يتعلق بالمنافس وحده، بل بالفريق بأكمله. مدربي أمام مدربه، وأخصائي العلاج الطبيعي لدي أمام نظيره، وإستراتيجيتي أمام إستراتيجيته، وأنا أمامه داخل الحلبة، وفي النهاية ليفز الأفضل". وأضاف جوشوا أن هدفه في هذه المرحلة هو تحقيق الفوز ومواصلة التقدم نحو تحديات أكبر في مسيرته الاحترافية.

من جانبه أكد بطل العالم البريطاني حمزة شيراز أن تتويجه بلقب منظمة الملاكمة العالمية في الوزن فوق المتوسط لم يغير عقليته أو أسلوب عمله، موضحا أن قصر الفترة بين نزالاته ساعده على الحفاظ على تركيزه. وقال شيراز "لن أكرر خطأ الابتعاد عن المنافسات، وسوف أغتنم كل فرصة للدفاع عن لقبي"، مضيفا أن وجود فريق متكامل بقيادة المدرب آندي لي أسهم في الحفاظ على تواضعه ودفعه إلى مواصلة التطور داخل الحلبة وخارجها، وأكد في الوقت نفسه أنه يسعى دائما لتقديم أفضل ما لديه في كل نزال.

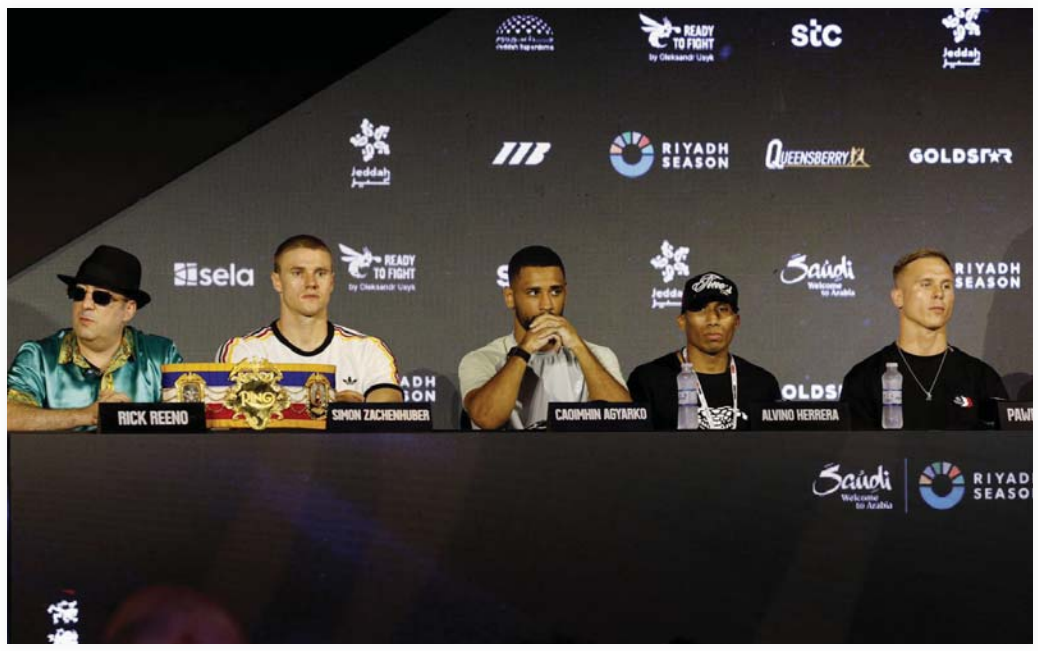

إثارة وتشويق

بدوره وصف إيدي هيرن، رئيس مجلس إدارة شركة "ماتش روم" للملاكمة، مواجهة بطل العالم جوش كيلي والملاكم الأيرلندي كاويمهين أجياركو بأنها واحدة من أقوى نزالات الأمسية، مشيرا إلى أن كيلي أثبت مكانته بين نخبة الملاكمين، فيما يدخل أجياركو المواجهة بسجل احترافي مثالي يضم 18 انتصارا دون أي خسارة، ما يجعلها مواجهة مفتوحة على جميع الاحتمالات.

وأوضح هيرن أن الفائز في هذا النزال سوف يحصل على فرصة لمواجهة أحد أكبر الأسماء في عالم الملاكمة، مشيرا إلى أن المواجهة كانت قادرة على تحقيق نجاح جماهيري أينما أقيمت، إلا أن إقامتها ضمن بطاقة "ذا كام باك" في جدة تمنحها بعدا عالميا أكبر.

تحول كبير

من جهته، أكد بطل العالم جوش كيلي أن الفوز باللقب أحدث تحولا كبيرا في شخصيته وثقته بنفسه، حيث قال "أن تصبح بطلًا للعالم يغير الكثير في داخلك، أشعر بأنني نسخة جديدة من نفسي". وألمح كيلي إلى أنه سيدخل النزال بثقة كبيرة لإثبات الفارق في المستوى، مؤكدًا أن ثقته الحالية تجعله قادرًا على منافسة أي من كبار الملاكمين في فئته، وأن الجماهير ستشاهد أداء مميزا داخل الحلبة.

وفي المقابل شدد منافسه الأيرلندي كاويمهين أجياركو على أن فريقه هو من بادر بطلب هذه المواجهة فور تعثر نزاله السابق، رافضا ما تردد عن أن معسكر كيلي هو من اختاره للمواجهة.

> جوشوا أضاف أن هدفه في هذه المرحلة هو تحقيق الفوز ومواصلة التقدم نحو تحديات أكبر في مسيرته الاحترافية

وقال أجياركو "نحن من طلب هذه المواجهة منذ اللحظة التي أُلغي فيها نزالنا السابق، ومدير أعمالي تواصل مباشرة مع ماتش روم لطلب مواجهة جوش كيلي"، موضحا أن هذا النزال ليس دفاعا اختياريا عن اللقب، بل هو استحقاق إلزامي مبكر، وأعرب عن ثقته في قدرته على انتزاع الحزام وتحقيق أكبر انتصار في مسيرته الاحترافية. وفي لحظة المواجهة وقعت مشادة كلامية كادت تتطور إلى نزاع بالأيدي بين الملاكمين وسرعان ما جرى إيقافها من قبل المنظمين.

ويأتي المؤتمر الصحفي ضمن فعاليات أسبوع نزال "ذا كام باك" الذي يشهد سلسلة من الفعاليات المصاحبة قبل إسدال الستار مساء السبت، عندما تستضيف جدة واحدة من أبرز أمسيات الملاكمة العالمية، بمشاركة مجموعة من نجوم اللعبة يتقدمهم أنتوني جوشوا، إلى جانب عدد من الأبطال العالميين والملاكمين السعوديين، في أمسية ينتظرها عشاق الملاكمة من مختلف أنحاء العالم.

وشهد نادي اليخوت بجدة تنظيم فعالية غرائد أرايفل المخصصة لاستقبال الملاكمين المشاركين في البطاقات الرئيسية والتمهيدية للنزال. وحظي التجمع بحضور وتغطية واسعة من مختلف وسائل الإعلام السعودية والعالمية، إلى جانب المهتمين والمصورين والشبكات الرياضية المتخصصة، حيث أجريت اللقاءات الإعلامية والجلسات التصويرية الرسمية للنزال وسط أجواء من الحماس والترقب الحذر بين الملاكمين.

ويأتي نزال العودة ليؤكد المكانة المرموقة التي تبوأتها المملكة العربية السعودية كوجهة عالمية لاستضافة أضخم الأحداث والنزالات الكبرى في عالم الملاكمة والرياضات القتالية. وتتجه الأنظار نحو مواجهة جوشوا وبرينغا التي تعد واحدة من أبرز نزالات الوزن الثقيل في عام 2026، إلى جانب بطاقة النزال التي تضم مواجهات عالمية أخرى تجمع نخبة من الملاكمين من مختلف أنحاء العالم.

المغربي بوعدي والمصري صلاح في قلب ميركاتو صيفي مشتعل

الرباط - انتهت بطولة كأس العالم لكرة القدم، وعادت الأندية إلى أجواء الاستعداد للموسم الجديد، لكن المعركة الحقيقية لا تزال مستمرة خلف الكواليس. ومع اقتراب انطلاق المنافسات الرسمية، تتسابق الأندية الأوروبية لحسم أبرز صفقاتها، بينما لا يزال مستقبل عدد من نجوم اللعبة معلقًا وسط مفاوضات معقدة وصراعات مالية ومنافسة شرسة بين كبار القارة العجوز.

ورغم أن بعض الصفقات أُنجزت بالفعل، فإن ملفات أخرى لا تزال تراوح مكانها، وسط مفاوضات قد تمتد حتى الساعات الأخيرة من سوق الانتقالات. وزادت بطولة كأس العالم من تعقيد المشهد، بعدما رفعت أسهم العديد من اللاعبين وغيّرت أولويات الأندية، لتصبح الأسابيع المقبلة حاسمة في تحديد وجهة عدد من أبرز نجوم كرة القدم.

المواهب الشابة

لم تقتصر مكاسب بطولة كأس العالم على النجوم المعروفين، بل شهدت البطولة أيضا بروز عدد من المواهب الشابة، وكان أيوب بوعدي من أبرز الأسماء التي خطفت الأضواء بفضل مستواه المميز مع المنتخب المغربي. ورغم أن أبرز الأندية الأوروبية كانت تتابع اللاعب قبل انطلاق البطولة، فإن تألقه في المونديال رفع من قيمته السوقية وزاد من حدة المنافسة على ضمه.

وكان باريس سان جيرمان المرشح الأبرز للفوز بخدمات لاعب الوسط البالغ من العمر 18 عاما، وسط منافسة من أرسنال وتشيلسي وريال مدريد، إلا أن مانشستر سيتي نجح مؤخرا في التقدم بخطوات كبيرة في السباق، بعدما توصل إلى اتفاق مع اللاعب بشأن الشروط الشخصية.

لكن العقبة الرئيسية لا تزال تتمثل في مطالب نادي ليل، الذي يتمسك بالحصول على 100 مليون يورو مقابل التخلي عن موهبته الصاعدة، وهو مبلغ يجعل إتمام الصفقة أكثر تعقيدا، رغم رغبة مانشستر سيتي في حسمها.

من بين جميع الأسماء المطروحة في سوق الانتقالات، يبقى محمد صلاح الحالة الأكثر إثارة للاهتمام. ورغم وجود عدد من اللاعبين الكبار في قائمة اللاعبين الأحرار، مثل جون ستونز وليون جوريتسكا ودوسان فلاهوفيتش، فإن قائد منتخب مصر يظل الاسم الأبرز، بعد نهاية رحلته التاريخية مع ليفربول.

وقدم صلاح بطولة كأس عالم مميزة، قاد خلالها المنتخب المصري إلى الدور ثمن النهائي، قبل الخروج بصعوبة أمام الأرجنتين، ليطوي صفحة المونديال ويتفرغ لحسم مستقبله. وربطت التقارير اللاعب مرارًا بالانتقال إلى الدوري السعودي، إلا أن النجم المصري، البالغ من العمر 34 عاما، قد يفضل مواصلة مشواره في أوروبا إذا تلقى عرضا من أحد الأندية القادرة على المنافسة على البطولات. ومع استمرار الغموض حول وجهته المقبلة، يبقى مستقبل صلاح أحد أكثر الملفات متابعة في سوق الانتقالات، خاصة أنه قادر على تغيير موازين أي فريق ينضم إليه.

قبل أسابيع قليلة فقط، بدا مستقبل ماركوس راشفورد محسومًا إلى حد كبير، بعدما استعاد جزءًا كبيرًا من مستواه خلال فترة إعارته إلى برشلونة، ما دفع الكثيرين للاعتقاد بأن النادي الكتالوني سيفعّل بند الشراء النهائي، البالغ 30 مليون يورو، والمضمن في اتفاقه مع مانشستر يونايتد. لكن المشهد تغير سريعًا بعد نهاية الموسم، إذ فضّل برشلونة توجيه استثماراته نحو التعاقد مع أنتوني جوردون، وهو ما أنهى عمليًا فرص استمرار راشفورد داخل "كامب نو".

وبعد مشاركته مع منتخب إنجلترا في بطولة كأس العالم، عاد المهاجم الإنجليزي ليجد نفسه أمام مستقبل غامض، في انتظار القرار النهائي من إدارة مانشستر يونايتد. ورغم أن بيع اللاعب قد يمنح النادي دفعة مالية مهمة، فإن موقف المدرب مايكل كاريك لا يزال غير واضح، إذ لم يحسم بعد ما إذا كان سيمنح راشفورد فرصة جديدة ضمن مشروعه الفني، أم سيفتح الباب أمام رحيله.

وفي حال قرر مانشستر يونايتد التخلي عن خدماته، يبرز توتنهام كأحد أبرز المهتمين بالتعاقد معه، مع توقعات بدخول أندية أخرى على خط المفاوضات إذا أصبح اللاعب متاحًا رسميًا.

أفضل المستويات

عاد رودري إلى أفضل مستوياته هذا الصيف، مؤكدًا أن الإصابة القوية بقطع في الرباط الصليبي التي تعرض لها عام 2024 لم تؤثر في قدراته، بعدما لعب دورًا رئيسيًا في قيادة منتخب إسبانيا إلى التتويج بكأس العالم، ونال جائزة أفضل لاعب في البطولة.

> من بين جميع الأسماء المطروحة في سوق الانتقالات، يبقى محمد صلاح الحالة الأكثر إثارة للاهتمام

وأعاد هذا التألق الحديث مجددًا عن مستقبله مع مانشستر سيتي، في ظل الاهتمام المتواصل من ريال مدريد، الذي يبحث منذ فترة عن قائد جديد لخط الوسط، بعد اعتزال توني كروس ورحيل لوكا مودريتش. ويرتبط رودري بعقد مع مانشستر سيتي يمتد حتى صيف 2027، ما يعني أن الموسم الحالي سيكون الأخير في عقده إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق بشأن التجديد. وكانت التوقعات تشير إلى أن ريال مدريد قد ينتظر حتى نهاية عقد اللاعب لضمه مجانًا، تماشيًا مع سياسته الأخيرة في التعاقد مع النجوم دون مقابل.

لكن مرور النادي الملكي بموسمين متتاليين دون تحقيق أي لقب، إلى جانب رغبة المدرب جوزيه مورينيو في تدعيم خط الوسط بلاعب من الطراز العالمي، قد يدفع إدارة فلورنتينو بيريز إلى التحرك مبكرًا، حتى وإن استلزم الأمر دفع مبلغ ضخم لإقناع مانشستر سيتي بالتخلي عن نجمه الإسباني.

خطوات واثقة

يورغن كلوب يخلف ناغلسمان في قيادة منتخب ألمانيا

برلين - عين الاتحاد الألماني لكرة القدم يورغن كلوب مديرا فنيا لمنتخب البلاد خلفا للمدرب يوليان ناغلسمان. وذكر اتحاد الكرة الألماني في مؤتمر صحفي أن كلوب وقع عقدا يمتد حتى عام 2030.

وهذا أول منصب تدريبي للمدرب الألماني المخضرم بعد رحيله عن فريق ليفربول الإنجليزي عام 2024. وكان المدرب السابق لليفربول المرشح الأبرز لتولي منصب المدير الفني لمنتخب ألمانيا منذ استقالة ناغلسمان عقب خسارة منتخب ألمانيا المفاجئة بركلات الترجيح أمام باراغواي في دور الـ32 ببطولة كأس العالم 2026 في 29 يونيو الماضي.

ولم يحقق المنتخب الألماني أي فوز في الأدوار الإقصائية بأي نسخة لكأس العالم منذ تتويجه بلقبه الرابع والأخير في مونديال عام 2014 في البرازيل، حيث ودع نسختي 2018 و2022 بروسيا وقطر على الترتيب من مرحلة المجموعات.

وأجرى كلوب محادثات مع المسؤولين الألمان بمدينة نيويورك الأميركية أثناء عمله هناك كمحلل تلفزيوني خلال نهائيات كأس العالم، قبل أن يعلن اتحاد الكرة الألماني في 11 يوليو الحالي عن التوصل إلى اتفاق بشأن "النقاط الرئيسية" للعقد. ولم يتول كلوب تدريب أي فريق منذ رحيله عن ليفربول قبل عامين، مبررا ذلك بسبب شعوره بالإرهاق. ومنذ ذلك الحين، كان كلوب يشغل منصب رئيس قسم كرة القدم العالمية في شبكة أندية "ريد بول" حول العالم، فيما كشف في وقت سابق من الشهر الجاري عن استعداده لاستئناف مسيرته التدريبية.

وسيقود كلوب الآن المنتخب الألماني في دوري الأمم الأوروبية، والتصفيات المؤهلة لبطولة أمم أوروبا عام 2028 في الجزر البريطانية، والتصفيات المؤهلة لكأس العالم عام 2030. وسوف تكون أول مباراة لكلوب على رأس الجهاز الفني ضد منتخب هولندا في العاصمة الهولندية أمستردام يوم 24 سبتمبر المقبل، في افتتاحية مباريات ألمانيا ببطولة دوري الأمم الأوروبية.

وأعرب كلوب، الذي يبدأ سريان عقده يوم 15 أغسطس المقبل، عن سعادته البالغة بتوليه المسؤولية، حيث قال في المؤتمر الصحفي "إنه لشرف عظيم أن أجلس هنا. كنت أدرك حجم المهمة، ولكن عندما تشارك فيها، فإنك تشعر بالمسؤولية بشكل أكبر. إنه يوم مميز للغاية بالنسبة لي". وفي الوقت نفسه، حذر كلوب الصحافة من أنه سوف يستقيل من منصبه إذا أساؤوا التصرف، حيث قال "الأمر لا يقتصر على الفريق الأول فقط، لكن من أولوياتنا الآنية أن نقدم أداء أفضل مع اللاعبين المتاحين لدينا".

وفي ظل الحديث المتداول عن افتقار المنتخب الألماني للاعب عالمي من الطراز الرفيع، كشف كلوب "نسعى كطاقم تدريبي إلى تقديم أداء متكامل. أمامنا بضعة أسابيع قبل خوض المباراة الأولى، وهو وقت كاف بالنسبة لي للاستعداد. نحن جميعا مستعدون". ومن المعروف عن كلوب شخصيته الجذابة، لكن مؤتمره الصحفي لم يكن مبهجا أو فكاهيا كما توقع بعض المشجعين. وشدد كلوب "في اليوم الذي لا تريدونني فيه، أخبروني وسأرحل"، قبل أن يبدو وكأنه يحذر وسائل الإعلام المجتمعة "إذا أسأتم التصرف ولم تتركوا عائلتي وشأنها، فسوف أرحل".

من جانبه، صرح بيرند نويندورف، رئيس الاتحاد الألماني لكرة القدم، بأن المفاوضات تناولت بعض "القضايا المعقدة. كان كلوب منذ البداية هو مرشحنا المفضل". وتوج كلوب (59 عاما) بلقبين في بطولة الدوري الألماني لكرة القدم (بوندسليغا) مع بوروسيا دورتموند عامي 2011 و2012، قبل أن يفوز بدوري أبطال أوروبا مع ليفربول عام 2019، ثم بالدوري الإنجليزي الممتاز مع الفريق الأحمر في العام التالي.

ورحل كلوب عن ليفربول منذ أكثر من عامين ليأخذ استراحة من التدريب، لكنه صرح خلال محادثات مع الاتحاد الألماني لكرة القدم بأنه استعاد نشاطه وحيويته. وتركزت المناقشات على صفقاته الإعلانية المختلفة ومدى توافقها مع الاتحاد الألماني لكرة القدم، وتم التوصل إلى حلول بعد أسابيع من المفاوضات، التي تأثرت قليلا بتواجد كلوب في الولايات المتحدة لتغطية كأس العالم كمحلل رياضي في قناة "ماجنتا تي.في".

وصرح المدرب الألماني بأن شركة ريد بول وافقت على صفقة "مربحة" تسمح له بترك منصبه الذي كان يشرف فيه على فرق ريد بول حول العالم، بما في ذلك ناديا لايبزغ الألماني ونيويورك ريد بولز الأميركي. وسوف يدفع الاتحاد الألماني لكرة القدم مبلغ مليون يورو (1.1 مليون دولار) لمؤسسة ريد بول كتعويض، وسوف تستضيف مدينة لايبزغ ثلاث مباريات لمنتخب ألمانيا حتى عام 2030. وأعرب نويندورف عن امتنانه الشديد لريد بول على هذه الاتفاقية "السريعة نسبيا".

ويعتبر كلوب المدرب الثالث عشر في تاريخ المنتخب الألماني للرجال. وقبل المؤتمر الصحفي مباشرة، قام مجلس إدارة الاتحاد الألماني لكرة القدم والجهات المعنية الأخرى، بالتصويت عبر اجتماع إلكتروني، على تعيين كلوب، مديرا فنيا لمنتخب "الماكينات".

العرب
السبت 2026/07/25
السنة 49 العدد 13870

خيول سوريا وجِمالها تعيد إحياء سحر البادية

من قلب البادية السورية، تعود الخيول العربية والجِمال لتروي قصة ارتباط الإنسان بالأرض والتراث. فهذه الحيوانات التي رافقت الأجيال الماضية أصبحت اليوم جسرا بين الماضي والحاضر، عبر أنشطة سياحية ومهن تقليدية تسعى إلى حماية الموروث الثقافي ودعم المجتمعات المحلية المرتبطة به.

من البادية إلى السياحة

دمشق - لا تزال الخيول العربية الأصيلة والجِمال تحتل مكانة مميزة في المشهد الثقافي والاجتماعي السوري، باعتبارها جزءاً من هوية تاريخية عريقة ارتبطت بحياة البادية والتنقل والرحلات والعادات التي تناقلتها الأجيال. فقد شكلت هذه الحيوانات عبر عقود طويلة رمزاً للقوة والأصالة والارتباط بالبيئة الصحراوية، ولم تكن مجرد وسيلة للحركة أو أداة للعمل، بل حملت في الذاكرة الشعبية معاني تتصل بالكرم والشجاعة والمكانة الاجتماعية.

ومع تطور أنماط الحياة لم تفقد الخيول والجِمال حضورها، بل انتقلت من فضاء الاستخدام التقليدي إلى مجالات جديدة تجمع بين الحفاظ على التراث وتنشيط السياحة الثقافية.

وأصبحت الأنشطة المرتبطة بها جزءا من التجارب التي يقبل عليها الزوار، خاصة في المناطق الصحراوية والأثرية التي تتميز بطبيعتها الفريدة وارتباطها العميق بتاريخ البادية السورية.

وتتطلب المحافظة على هذا الإرث تضافر جهود عدد من الاختصاصات، بدءاً من مربي الخيول والجمال، مرورا بالأطباء البيطريين والحرفيين المتخصصين في العناية بها، وصولاً إلى العاملين في القطاع السياحي الذين يسهمون في تقديم هذه التجارب للزوار بصورة تحافظ على قيمتها الثقافية.

ويشكل هذا التكامل عاملا أساسيا لضمان استمرار هذه الممارسات التقليدية وتطويرها بما يتناسب مع متطلبات العصر.

وفي هذا الإطار أوضح بيطار الخيول غسان تبورة، في تصريح لوكالة الأنباء السورية (سانا)، خلال مشاركته في الركن البدوي ضمن معرض سوريا الدولي للنسيج "ناس تكس 2026" الذي اختتم فعالياته مؤخراً في مدينة المعارض بدمشق، أن تركيب الحدوة يمثل إحدى أهم خطوات العناية بالخيول والحفاظ على سلامة حوافرها.

وبيّن تبورة أن الحدوة لا تقتصر وظيفتها على حماية الحافر من التآكل، بل تساعد أيضاً على تقليل الإصابات الناتجة عن المشي لمسافات طويلة فوق الأراضي الصلبة أو التضاريس الوعرة، كما تمنح الخيول قدرة أكبر على التوازن والثبات أثناء الحركة.

وأوضح أن هذه العناية تنعكس بشكل مباشر على أداء الخيول، سواء خلال المشاركات في السباقات أو عند العروض التراثية أو في الرحلات السياحية التي تعتمد على ركوب الخيول.

وأشار إلى أن تبديل الحدوة يحتاج إلى متابعة دورية، إذ يفضل إجراؤه كل أربعين يوما تقريبا، بسبب النمو المستمر للحافر وحاجته إلى التقليم وإعادة التهيئة بما يتناسب مع شكله وحجمه.

وأضاف أن هذه المهمة تتطلب خبرة واسعة ودقة كبيرة، لأن التعامل مع الخيول يختلف بحسب عمرها ونوعها ومستوى نشاطها وطبيعة البيئة التي تعيش فيها.

وأكد تبورة أن مهنة بيطرة الخيول وتركيب الحدوات تعد من الحرف التي تعتمد على المعرفة المتوارثة والخبرة العملية، مشيراً إلى أن ازدياد الاهتمام بالخيول العربية ومشاركتها في الفعاليات الثقافية والسياحية أدى إلى زيادة الطلب على خدمات العناية بها.

وأوضح أن هذا الأمر أتاح له العمل في مناطق سورية متعددة، إضافة إلى فرص خارج البلاد، ما يعكس أهمية هذه المهنة ودورها في الحفاظ على جانب مهم من التراث.

من جهته أكد مربي الخيول والجمال في مدينة تدمر سعيد الصالح أن هذه الحيوانات أصبحت عنصرا مهما في دعم الحركة السياحية، لاسيما في المناطق التي تجمع بين الطبيعة الصحراوية والمواقع الأثرية.

وأوضح أن الزوار يجدون في رحلات الخيول والجِمال فرصة لاكتشاف البيئة المحلية والتعرف على تفاصيل من الحياة البدوية التي تتميز بعاداتها ومهاراتها الخاصة.

وأشار الصالح إلى أن هذه التجارب السياحية لا تقتصر على الجانب الترفيهي، بل تمثل أيضا وسيلة لتعريف الزوار بالموروث الثقافي المرتبط بالبادية، بما يشمله من طرق تربية الحيوانات وأساليب التعامل معها والعادات الاجتماعية التي نشأت حولها.

وأضاف أن تنامي الإقبال على هذه الأنشطة ساهم في تنشيط عدد من الأعمال المرتبطة بها، مثل تنظيم الرحلات والعروض التراثية وتقديم الخدمات المرافقة.

ولفت إلى أن الحفاظ على الخيول والجمال يمثل مسؤولية تتجاوز الجانب الاقتصادي، فهو يتعلق بحماية ذاكرة جماعية وإرث حضاري متجذر.

ودعا إلى دعم المربين وأصحاب المهن التقليدية، وتشجيع المبادرات التي تربط بين التراث والتنمية السياحية، بما يوفر فرص عمل جديدة لأبناء المناطق التي ترتبط حياتهم بهذه الأنشطة.

وتندرج الخيول والجمال ضمن منظومة واسعة من الممارسات الثقافية العربية التي تشمل مهارات التربية والترويض والعروض الاحتفالية والمعارف المتوارثة. وقد حظيت هذه العناصر باهتمام المنظمات الثقافية الدولية باعتبارها جزءاً من التراث الثقافي اللامادي، لما تحمله من قيم اجتماعية وتاريخية تعكس علاقة الإنسان ببيئته ومجتمعه.

أفلام الخيال العلمي تحلق في سماء الشارقة

الشارقة (الإمارات) - ستنظم مؤسسة الشارقة للفنون السلسلة الثانية من برنامج "نادي سينما الأحد" تحت عنوان "رؤى قمرية: أفلام الخيال العلمي في عصر الفضاء"، وذلك في رواق الفوتوغراف بمنطقة المناخ في الشارقة، خلال الفترة الممتدة من 26 يوليو الجاري إلى 9 أغسطس المقبل.

وستضم السلسلة ثلاثة أفلام تستعرض تطور سينما الخيال العلمي وعلاقة الإنسان بالفضاء عبر محطات زمنية مختلفة، هي "رحلة فضائية - 1936 للمخرج فاسيلي زورافليوف، و"رحلة إلى القمر - 1959 للمخرج حمادة عبدالوهاب، و"أوديسة الفضاء: 2001 - 1968" للمخرج ستانلي كوبريك.

وسيسلط البرنامج الضوء على تطور المعالجات السينمائية لموضوعات الفضاء، من التجارب المبكرة التي استندت إلى المؤثرات البصرية التقليدية، وصولاً إلى الأعمال التي تناولت قضايا التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي ومستقبل البشرية، بما يعكس دور السينما في استشراف آفاق الاستكشاف ا لفضائي.

وستفتتح السلسلة في 26 يوليو بعرض فيلم "رحلة فضائية"، يعقبه حوار مع عالمة الكواكب نورا السعيد حول دوافع استكشاف الفضاء وعلاقة الإنسان بالكون.

وفي الثاني من أغسطس سيُعرض الفيلم المصري "رحلة إلى القمر"، يليه حوار مع محمد ممدوح، الأستاذ المساعد في السينما والوسائط الجديدة بالجامعة الأميركية في الشارقة، حول مكانة الفيلم في تاريخ السينما المصرية، وتوظيف الخيال العلمي في معالجة القضايا العلمية والتكنولوجية.

ماجدة الرومي تنتظر حفلها القادم في بيروت

عمان - أحيت المطربة ماجدة الرومي أولى الحفلات الغنائية على المسرح الجنوبي بمدينة جرش الأثرية في الأردن الخميس ضمن برنامج الدورة الأربعين من مهرجان جرش للثقافة والفنون، وسط حضور جماهيري كبير مع وعد بأن يكون الحفل القادم في العاصمة اللبنانية بيروت.

أطلت الفنانة اللبنانية على خشبة المسرح بفستان أبيض، ووجهت حديثها إلى الجمهور قائلة "يسعدني ويسعد مجموعة الموسيقيين الكبار بقيادة المايسترو لبنان بعلبكي أن نحييكم بكل الحب. نتمنى للأردن دوام العز والمجد، ولشعبه الحبيب دوام الازدهار والاستقرار. ولن أنسى أن أنقل إليكم من أهلنا وأحبائنا في لبنان أجمل التحيات والسلامات، وهم يقولون لكم إن الحفل المقبل، بإذن الله، سيكون في بيروت الأبية".

وأضافت "أغني الليلة ولبنان تاج على رأسي، والأردن صلاة في قلبي، حفظ الله الجميع"، في إشارة إلى الظروف التي يمر بها بلدها، وما يشهده من تطورات أمنية منذ مارس عقب اندلاع الحرب الأميركية - الإسرائيلية على إيران.

وقدمت على مدى نحو ساعة ونصف الساعة باقة من أغانيها الرومانسية المعروفة مثل "عيناك ليال صيفية" و"على قلبي ملك" و"اسمع قلبي وشوف دقاته" و"ميلي يا حلوة ميلي يا غصن البان"، إضافة إلى أربعة أعمال جديدة، وكذلك أغنية "أنا كل ما أقول التوبة" للمطرب المصري عبدالحليم حافظ التي اشتهرت بتأديتها في معظم حفلاتها.

بركان تحتضن عرسًا ثقافيًا لتراث الشرق المغربي

الرباط - تتواصل بمدينة بركان فعاليات الدورة الثالثة عشرة من مهرجان الفنون الشعبية الشرقية، المنظمة هذه السنة تحت شعار "الفنون الشعبية بين ذاكرة الشعوب وخوارزميات المستقبل"، في تظاهرة تسعى إلى الاحتفاء بالموروث الثقافي اللامادي واستشراف آفاق توظيف التكنولوجيا الحديثة في خدمته.

وانطلقت فعاليات الدورة مساء الخميس بحفل افتتاح مميز، شهد تقديم مجموعة من العروض الفلكلورية التي أحيتها مجموعة "الرونقيات" لفن الركادة، وفرقة "الركبة" من زاكورة، إلى جانب فرقة "فلامنكو" الإسبانية، في تنوع فني جمع بين أنماط تراثية مغربية ودولية.

وتضمن برنامج الافتتاح عرض شريط وثائقي حول الفنون الشعبية ودورها في حفظ الذاكرة الجماعية، إلى جانب تكريم عدد من "الكنوز البشرية" التي أسهمت في صون ونقل هذا التراث، قبل تنظيم جولة في المعارض الموازية المقامة بهذه المناسبة.

وأوضح مدير المهرجان، ياسين عبدالاوي، في تصريح لوكالة المغرب العربي للأنباء أن اختيار شعار الدورة يعكس رؤية استشرافية تروم الربط بين التراث والتطور التكنولوجي، مشيرًا إلى أنه ينسجم مع توجهات الوزارة الوصية الرامية إلى تثمين التراث اللامادي، واستكشاف إمكانيات توظيف الذكاء الاصطناعي والتقنيات الحديثة في الحفاظ عليه، مع ضمان عدم المساس بجوهره الإنساني والجمالي.

وأضاف عبدالاوي أن دورة هذه السنة تتميز ببرنامج غني يعرف مشاركة حوالي 28 فرقة تراثية محلية وجهوية، فضلاً عن مشاركة دولية من إسبانيا، مشيرًا إلى برمجة سهرات فنية موازية بمدينة السعيدية بهدف تقريب هذا التنوع الثقافي من أفراد الجالية المغربية المقيمة في الخارج.

صباح العرب

لطيف جابالله
صحافي تونسي

الصيف يهاجم التونسي... من الجبين إلى الجيب!

في تونس، لم يعد السؤال في فصل الصيف: "كم بلغت درجة الحرارة؟"، بل أصبح: "كم بقي في الجيب بعد نهاية الموجة الحارة؟"، فالشمس التونسية، التي كانت في السابق عنوانا للبحر والعطلة والكسكسي تحت شجرة الزيتون، تحولت اليوم إلى موظف ضرائب جديد لا يحمل دفتر وصولات، لكنه يخصم من صحة المواطن ومن راتبه قبل أن يصل آخر الشهر.

ومع كل ارتفاع في درجات الحرارة، يبدأ التونسي معركة يومية غير متكافئة، العرق يسيل من الجبين، والمال يتبخر من المحفظة. فالمكيف الهوائي الذي كان من الكماليات أصبح في نظر الكثيرين جهاز إنقاذ، لكنه جهاز له شروطه الخاصة: فاتورة كهرباء تنتظر في آخر الشهر وكأنها ضيف ثقيل جاء ليشارك العائلة في المصروف.

الصيف لم يعد مجرد فصل يحتاج فيه المواطن إلى قارورة ماء إضافية وقبعة تقيه من الشمس، بل أصبح موسما اقتصاديا كاملا له نفقاته الخفية. ماء بارد أكثر، كهرباء أكثر، تنقل أقل في ساعات الذروة، أدوية للصداع والتعب، ومصاريف صحية لمن لا يحتمل جسمه حرارة وصلت إلى مستويات تجعل حتى الحائط يبحث عن ظل.

العلماء يقولون إن الحرارة المرتفعة تؤثر في الدماغ والتركيز والسلوك، أما المواطن التونسي فقد اكتشف هذه الحقيقة قبل المختبرات، فحين يدخل إلى متجر ويجد أسعار المروحات والمكيفات تفوق ميزانيته، يبدأ دماغه فعلًا في إرسال إشارات استغاثة. وحين تصله فاتورة الكهرباء، قد يحتاج إلى جلسة تأمل عميقة ليفهم كيف تحولت نسمة هواء إلى مشروع تمويل صغير.

الحرارة لا ترفع فقط درجات الغضب، بل ترفع أيضا درجات النقاش داخل العائلة. الأب يقول "أطفئوا المكيف قليلا". والأبناء يردون "لكننا نختنق". الأم تحاول إيجاد حل وسط بين راحة الأسرة والخوف من الفاتورة القادمة، بينما المروحة في الزاوية تواصل دورانها وكأنها تقول "أنا أعمل أكثر من بعض الموظفين، ومع ذلك لا أحد يمنحني منحة صيفية".

وتشير الدراسات إلى أن الطقس الحار قد يزيد التوتر والعصبية ويؤثر في القدرة على التركيز واتخاذ القرارات. وهذا يفسر ربما لماذا يصبح التونسي أكثر سرعة في الانفعال خلال أيام القيظ؛ فهو لا يحارب الحرارة فقط، بل يحارب أيضا النوم المتقطع، والإرهاق، والقلق من المصاريف المتزايدة.

أما الجانب الأكثر قسوة فهو أن الفقراء يدفعون ثمن الصيف أكثر من غيرهم، فالغني يهرب إلى منزل مكيف أو عطلة مريحة، بينما يبحث صاحب الدخل المحدود عن مروحة قديمة، أو يجلس قرب نافذة مفتوحة منتظرا نسمة رحيمة.

بالنسبة إليه، الحرارة ليست مجرد حالة جوية، بل فاتورة جديدة تضاف إلى قائمة طويلة من الأعباء.

لقد أصبح واضحا أن التغير المناخي لا يهدد البيئة فقط، بل يضغط على حياة الناس اليومية. وارتفاع درجات الحرارة يعني أحيانا ارتفاع أسعار بعض المنتجات، وزيادة استهلاك الطاقة، وتراجع القدرة على العمل لدى من يقضون ساعات طويلة تحت الشمس.

في تونس، يبدو أن الصيف قرر أن يكون أكثر من مجرد فصل. لقد أصبح اختبارا للصبر والقدرة على التحمل، ومسابقة لمعرفة من يستطيع الوصول إلى نهاية الشهر دون أن تذوب أعصابه أو مدخراته.

وفي انتظار أن تجد البشرية حلا لمشكلة الاحتباس الحراري، يبقى المواطن التونسي مسلحا بأدواته التقليدية: قارورة ماء باردة، قليل من الفكاهة، وكثير من الدعاء بأن تمر موجة الحر قبل أن تمر على جيبه مرور العاصفة.

ففي النهاية، قد يتحمل التونسي حرارة الشمس... لكنه يجد صعوبة أكبر في تحمل حرارة الأسعار.